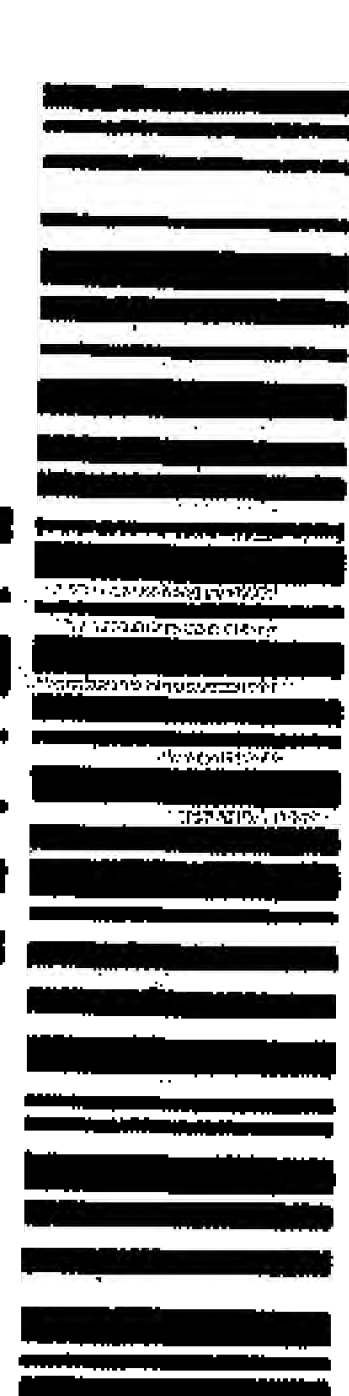


اقفا

مصطفى عبد الرحمن

مكتبات

0131182



Bibliotheca Alexandrina



دار المعارف

اقرا

[٤٨٨]

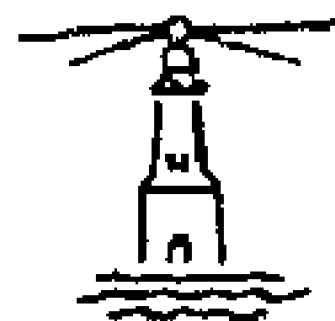
مفاتيح

مصطفى عبد الرحمن

مضامينات

أدب - فن - نوادر

الطبعة الثانية



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .



بين يدي رمضان

رمضانُ موسمٌ خيرٌ ، ومعلمٌ برٌ ، وشاحذُ هِمَّةٍ ، وراسمٌ طريقِ أُمَّةٍ ، هوزينُ
الزَّمانِ ، وعينُ الأَوَّانِ ، ومُلتقى العباداتِ ، ومجمعُ الخيراتِ ، وأسمى مواطنِ
التقربِ من رَبِّ العالمينَ ، وأجلُّ المواسمِ للصائمينَ ، والمتعبدينَ .

قال الرافعي :

فديتُك زائراً في كل عامٍ	تُحيّا بالسلامةِ والسَّلامِ
وتُقبَلُ كالغمامِ يفيضُ حيناً	ويبقى بعده أثرُ الغمامِ
وكم في الناسِ من كلفٍ مشوقٍ	إليك وكم شجىٍّ مستهامِ
بني الإسلامِ هذا خيرٌ ضيفٍ	إذا عشى الكريمُ ذُرا الكرامِ

إنه رمضان

شاءت إرادة الله أن تتصل فيه الأرض بالسماء فيشرق الإسلام نوراً ، وتضع السماء للأرض دستوراً ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . . إنه القرآن الكريم الذى نزل للناس هدى وبينات من الهدى والفرقان .

وحسب رمضان أن من لياليه ليلة القدر ، و (ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر) . . .

وكم لهذا الشهر من منازل رفيعة من التكريم الإلهي في مختلف الأزمنة . ففي أول ليلة من لياليه نزلت صحف إبراهيم ، ولست منه نزلت التوراة على موسى ، ولثلاث عشرة منه نزل الإنجيل على عيسى ، وفيه أيضاً نزل القرآن الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد الأمين هدى للعالمين .

ورمضان شهر القوة ، والعزة ، والبطولة والفداء ، فقد اقترن رمضان في جميع العصور بأبهر آيات المجد والانتصار ، فأعظم مواقف القتال التى انتهت بانتصار الحق على الباطل وقعت في رمضان .

أليست بدرهى معجزة السماء على الأرض التى أجراها الله على يد نبيه المختار ؟ لقد نصر الله فيها عبده ، وأعز جنده ، وغلبت هذه الفئة القليلة فئة كثيرة بإذن الله .

وفي رمضان كان الفتح الأكبر ، عندما دخل الرسول مكة والتف أهلها حول

الفتاح الأعظم وتمت آية الله بدخول العرب الإسلام .
وفي رمضان انتصر المسلمون في تبوك ، وعين جالوت . وحطين . وفتح العرب
الأندلس .

لماذا سمي رمضان ؟

ورمضان هو اسم الشهر التاسع من تاريخنا الهجري ، والشهر الوحيد من شهور
السنة الذي ذكره القرآن الكريم .

وقد اختلفت في تسمية رمضان الآراء ، وتعددت الروايات فمن قائل : إنه
مشتق من رمض إذا احترق ، والرمضاء شدة الحر ، وسمى بذلك للارتماض من حر
الجوع والعطش وقيل إنما سمي رمضان لأنه يرمض الذنوب ويحرقها بالأعمال
الصالحة

وقيل أيضاً . لأن القلوب تأخذ فيه الموعظة والتفكير في أمر الحياة الآخرة ، كما
تكتسب صخور الفيا في ورمالها من حرارة الشمس

وقيل إن العرب كانوا يرمضون أسلحتهم في رمضان أي يدقونها ، ويشحذونها
بين الحجارة استعداداً للحرب في شوال قبل حلول الأشهر الحرم .

جاء في لسان العرب لابن منظور :

«رمضان في أسماء الشهور معروف» :

قال :

جارية في رمضان الماضي تقطع الحديث بالإيماض

أى إذا تبسّمت قطع الناس حديثهم ، ونظروا إلى ثغرها ، والجمع
رمضانات ، ورمضانين ، وأرمضاء ، وأرمضة ، وأرمض . وفى هذا قال مطرز :
كان مجاهد يكره أن يجمع رمضان ، ويقول : بلغنى أنه اسم من أسماء الله
عز وجل . قال ابن دريد : لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة
التي هي فيها ، فوافق رمضان أيام رمض الحر وشدته . . إلخ .

وشهر رمضان مأخوذ من رمض الصائم يرمض إذا حرجوفه من شدة العطش .
وجاء في دائرة المعارف الإسلامية : أن رمضان مشتق من (رمض) وفى ذلك
إشارة إلى حر الصيف ، مما يدل على الفصل الذى وقع فيه هذا الشهر فى فصول
السنة . حينما كان العرب القدماء دائبين على محاولة التوفيق بين سنتهم والسنة
الشمسية بالاستعانة بأشهر النسيء .

كان العرب ينسئون أى يؤخرون الأشهر الحرم إلى ما بعد ذى الحجة فنهاهم الله
سبحانه عن ذلك فى قوله الكريم (إنما النسيء زيادة فى الكفر) .
وقيل فى تسمية رمضان : إنه من أسماء الله الحسنى وذلك لقوله صلوات الله
وسلامه عليه :

« لا تقولوا جاء رمضان وذهب رمضان ، لكن قولوا جاء شهر رمضان » .
ولكن أكثر الفقهاء يقولون : إن هذا الحديث ضعيف فى سنده .
وكان رمضان يسمى فى الجاهلية (ناقاً) .

قال المواردى : سمي بذلك لأنه كان ينتقم : أى يزعمهم إضجاراً بشدته
عليهم . . وقيل لكثرة الأموال التى كانت تجبها العرب فيه .
وذكر النويرى : أن العرب العاربة كانت تسميه (ناطلا) بالطاء .

وأسماء رمضان في الإسلام - عدا رمضان - كثيرة منها : شهر الله - شهر القرآن - شهر الآلاء - شهر النجاة . . . إلخ .

الشهور العربية وكيف سميت ؟

قبل أن الشهور العربية سميت من أسماء فصول السنة الدالة على الحرارة ، والبرودة . ونمو النباتات .

- فالحرم : سمي بذلك لأن العرب كانوا يحرمون فيه القتال .
صفر : كانوا يغيرون فيه على البلاد ويتركونها صفراً أي خالية .
ربيع الأول : سمي في وقت أربعت فيه الأرض أي أخصبت .
ربيع الآخر : كسابقه في التسمية .
جمادى الأولى : سميت بذلك لتجمد الماء فيها في الأماكن العالية .
جمادى الآخرة : كسابقتها في التسمية .
رجب : اشتق اسمه من الترجيب وهو التعظيم . ويقال : إنهم سموه بهذا الاسم لأنهم كانوا (يرجبون) فيه الشجر ، أي يجعلون تحته وجوله بناء يقيه ويحفظه .
شعبان : سمي بذلك لتشعب النباتات فيه بانقسام الجذع إلى فروع كبيرة .

رمضان :

.....

شوال : سمي بذلك لأن الإبل كانت تلقح فيه فتشول بأذناها . أى ترفعها .

ذو القعدة : كانوا يقعدون فيه عن القتال .

ذو الحجة : سمي بذلك لوقوع الحج فيه .

والأربعة الحرم ، وكان العرب يحرمون فيها القتال هى :
ذو القعدة .

ذو الحجة .

المحرم .

رجب .

قال تعالى :

(إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم) .

ورمضان هو الشهر الوحيد الذى ذكره القرآن الكريم من شهور السنة ، فقد نزلت الآية الكريمة :

(شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) .

منزلة رمضان :

قال ابن الجوزى فى بستان الواعظين :

« مثل الشهور الاثني عشر كمثل يعقوب وأولاده ، فكما أن يوسف أحب

أولاده إليه . . . كذلك رمضان أحب الشهور إلى الله .

» « «

- رمضان كريم .
- ليلة الرؤية .
- الاعتكاف .
- الجمعة اليتيمة .
- كلمات تتردد على الألسن كلما أقبل رمضان .

رمضان كريم :

من الناس من يقول : كيف نسمى رمضان كريماً وهو الشهر الذى تختبر فيه إرادة الإنسان وسيطرته على نوازع نفسه بخرماته من حاجات الجسم من مأكـل ومشرب ؟ ويقولون : إنه ربما سـمى بذلك كما كان يفعل العرب بأن يسموا الأشياء بأضدادها .

وتقول عندما يزورك أحد فى رمضان فلا تقدم له شيئاً وكأنما تعتذر إليه بأن رمضان هو الذى يمنعك فأنت تعنى أن رمضان بخيل فتقولها على المجاز بدل التصريح تأدباً .

ومن الناس من يقول : حقاً هو شهر الكرم . فما جاء رمضان إلا ومعه الخير . فوائده دون باقى أشهر العام جميعاً تحفل بشتى أنواع الأطعمة والحلوى . . . وهو شهر الكرم ؛ لأنه شهر البذل والعطاء ، والشهر الذى ترق فيه القلوب ويعطف فيه الإنسان على أخيه الإنسان . شهر المودة والتعاطف ، شهر البر والإحسان ، كانت الدولة الفاطمية إذا جاء

رمضان تقيم الأسمة ، وبها أنواع المأكولات والأطعمة الفاخرة يدعى الأمراء إلى حضورها في كل ليلة كما يحضرها الشعب كافة .
وما زال في بعض ريفنا إلى اليوم ، كلما أقبل رمضان أعدت الموائد خارج الدور ليأكل منها كل غريب مار بها من معوز أو مسكين .
وهذا هو في رأي الأمر الذي سمي من أجله رمضان كريماً . . .

ليلة الرؤية :

الرؤية شرط من الشروط التي يجب أن تتوفر لحلول شهر الصيام ، ولا يحل إلا بها لقوله تعالى :
(فمن شهد منكم الشهر فليصمه) .

* * *

- فالرؤية شرط من الشروط التي يجب أن تتوفر لصيام شهر رمضان . . .
ولا صيام إلا بها .
- ذلك أن الشهور القمرية تم دورتها أحياناً في تسعة وعشرين يوماً وأحياناً في ثلاثين يوماً .
- والذي يحدد مبدأ الشهر ونهايته . هو ظهور الهلال .
- لذلك استوجب صوم شهر رمضان . المعرفة الدقيقة بالأهلة .

هلال شعبان :

وذلك لارتباطه بأول رمضان .

هلال الشك :

ويوم الشك هو اليوم التالى للتاسع والعشرين من شعبان ويقع فيه الشك .
لأنه إما أن يكون مكملًا لشعبان ثلاثين يومًا ، وإما أن يكون أول يوم من أيام
رمضان .

قال فيه ابن الوردي :

قلت هلال الصيام ليس يرى فلا تصوموا وارضوا بقول ثقه
فغالطوني وحققوا فأروا وكل هذا من قوة الحدقه

هلال رمضان :

وتهم بهلال رمضان الدول الإسلامية كلها ، وذلك للتثبت من رؤيته فتألف
المواكب الدينية ، وتنازل المساجد ، وتطلق المدافع عندما يتأكد الراصدون من
ثبوت الرؤية .

ذكر السيوطي : أن أول من خرج في مصر للرؤية ، القاضى (غوث بن
سليمان) الذى توفى سنة (ثمان وستين ومائة) هجرية . رحب به الشعراء والأدباء .
وقال ابن حمدىس مرحباً به :

قلت والناس يرقبون هلالا يشبه الصب فى نخافة جسمه
من يكن صائماً فذا رمضان خط بالنور للورى أول اسمه

وذمه الذين يكرهون الصيام . كما جاء على لسان أبى نواس : .

أقصد سرنى أن الهلال لناظرى بدا وهو محفور الخيال دقيق
طلواه مرور الشهر حتى كأنه عنان لواه باليدين رقيق
وإنى لشهر الصوم ماعشت شامت وإنك يا شوال لى لصديق

هلال شوال أو هلال العيد :

وهو من أحب الأهلة إلى الشعراء . . . قال فيه ابن المعتز شاعر دولة
بنى العباس :

مر بنا والعيون ترمقه فى قد غصن وحسن تمثال
فخلته والعيون تأخذه من كل فج هلال شوال

ومن الطرائف : أن الملك المعظم الشاعر عيسى الأيوبي ، الملقب بمأمون بنى
أيوب ، كان قد طلع إلى مئذنة جامع دمشق لرؤية الهلال ومعه الشهود ، فلم ير
الهلال أحد منهم ولكن رآته جارية من محظياته ، فقال الملك المعظم لابن القصار
الشاعر : قل فى ذلك شيئاً فقال :

توارى هلال الأفق عن أعين الورى وغطى بستر الغيم زهواً محياه
فلما أتاه لاجتلاء شقيقه تبدى له دون الأنام فحياه

فأجازه الملك جائزة سنية .

الاعتكاف :

الاعتكاف : هو أن يظل المتعبد فى المسجد للعبادة تطهيراً للنفس ، واتصالاً

بالله جلّت قدرته وترديدًا لذكره . وأفضل أيام الاعتكاف العشرة الأخيرة من رمضان المبارك وفيها ليلة القدر .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف في المسجد ، وداوم على ذلك حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى ، فيعيش في المسجد في مكان بعيد عن الأعين ، ويتجه إلى الله بقلبه ويسعد بمناجاته .

ولابد للمعتكف أن يتحرز عن موجبات الغسل ويقبل على تلاوة القرآن ، والصلاة ، وذكر الله ليحظى بشرف القبول .

الجمعة اليتيمة :

الجمعة اليتيمة : هي آخر جمعة في شهر رمضان المبارك ، وقد سميت يتيمة لتفردا بالحسن ، فالدر اليتيم هو المتفرد بالحسن والبهاء .

وقيل إن أهميتها جاءت من أنه كان يباح فيها رؤية الموكب السلطاني والتمتع بطلعة السلطان .

وإن تقديرها على غيرها من أيام الجمع ، كان لأنها الجمعة الوحيدة التي كان يشهد فيها المسلمون الخليفة أو السلطان .

الصيام

الصيام : جوع في البطن ، وشبع في الروح والقلب ، وحصار لبواعث كل شهوة ، وسد لمنافذ كل فتنة ، وتصعيد للنفس ، وسمو بها إلى أعلى عليين .
والصيام : إشراق روح ، وهداية قلب ، وشرف هدف ، وعاطفة تراحم وحكمة تسامح ، وقانون مساواة بين الغنى والفقر ، والصغير والكبير .

والصيام : عبادة يتحقق فيها الصدق والإخلاص . . لأنه بين العبد والرب لا يدخلها مواربة ، ولا يلحقها رياء .

والصيام : ركن من أركان ديننا الحنيف ، وشريعته الغراء ، وهو أحد عمد الإسلام الخمسة التي قام بها هذا البناء شامخاً ، قوياً وعزيزاً ، ليصير دستوراً للناس ، وسلوكاً كريماً يحفظ لهم طريق الحياة . . .

قال شوقي :

«الصيام : حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخشوع لله وخضوع ، ولكل فريضة حكمة ، وهذا الحكم ظاهره العذاب ، وباطنه الرحمة ، ويستثير الشفقة ، ويحض على الصدقة ويكسر الكبر ، ويعلم الصبر ، ويسن خلال البر . حتى إذا جاع من ألف الشبع ، وحرم المترف أسباب المتع ، عرف الحرمان كيف يقع ، والجوع كيف آله إذا لذع» .

والصوم : عبادة قديمة . . . لعلها كانت منذ آدم . . . أو على عهد نوح . . .
أو إبراهيم عليه السلام .

قال الله في كتابه العزيز :

(يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) .

فالصوم ليس خاصاً بطائفة من الطوائف ، ولا برسالة دون أخرى . بل يشعر بالحاجة الملحة إليه كل كائن حي ، وإن اختلفت أشكاله وأوقاته باختلاف الأزمنة .

فالصوم يعرفه المتدين على أنه : وسيلة للتقرب من المولى عز وجل . ويعرفه المتصوف : كطريق من طرق صفاء الروح والنفس . ويعرفه الطبيب ، على أنه : وسيلة من أنجح وسائل العلاج الجسماني .

ويعرفه رجل الاجتماع طريقاً من طرق تآلف القلوب ، وربط الجماعات . إن الذي يتبع حياة الأمم ، يجد أنها اعتبرت الصيام ركناً من أركان عبادتها .

قدماء المصريين :

فقد كان الكهنة فى أيام قدماء المصريين يصومون فى أعياد (إيزيس) من سبعة أيام إلى ستة أسابيع ، كما كان المصريون يصومون فى جميع الأعياد الدينية .

الصينيون :

كما كان الصينيون يصومون بعض أيامهم العادية ويفرضونه على أنفسهم فى أيام الفتن .

أهل إسبرطة :

وكان أهل إسبرطة يوجبون على أنفسهم الصوم قبل قيامهم بشن أية حرب على أعدائهم طلباً للنصر .

الهند :

أما الهند ، فقد عرفت الصوم منذ عهد المشرع [مانافا - مانو] الذى ترجع تعاليمه إلى القرن الحادى عشر قبل المسيح .

لقد أكدت الشريعة المانوية وكذلك البراهمة على ضرورة الصوم ، كما كانت هناك طائفة تقوم عبادتها على تقديس الشمس ، وكانت تفرض الصوم كل ليلة من غروب الشمس حتى رؤية جرمها ، فإن حجبت السحب رؤيته وجب مواصلة الصوم حتى يظهر جرم الشمس .

الصائبون المانويون :

وأكثر أنواع الصيام شبهًا بصيام رمضان في هذه الشرائع ، صيام الثلاثين يومًا عند [الصائبين المانويين] . فقد ذكر العلامة [ابن النديم] في كتابه [الفهرس] في كلامه عنهم : أن شريعتهم تفرض عليهم الصيام ثلاثين يومًا متتابعة ، يبدأ أولها في الثامن من شهر آذار ، وأن صيامهم كان إمساكًا عن جميع أنواع الطعام والشراب من طلوع الشمس إلى غروبها ، وأنه كان تكريمًا للقمر .

اليهود :

وفرض العهد القديم الصوم على اليهود لقهر الشهوات حتى يتقربوا من [ياهو] اسم الله المقدس عندهم في ذلك الحين .
وتفرض [التوراة] الصوم بعض الأيام في بعض المناسبات ، منها اليوم العاشر من الشهر السابع ، واليوم التاسع من الشهر الثامن ، كما كانوا يصومون يوم الكفارة . . .

وكان مظهر تقشفهم في الصوم ، أنهم كانوا يلبسون المسوح على أجسادهم ، وينثرون الرماد على رؤوسهم ، ويتركون أيديهم كما هي غير مغسولة . كما ورد أنهم يصومون أسبوعًا تذكاريًا لخراب أورشليم ، كما أن الشريعة اليهودية تمنع أتباعها عن العمل والحركة يوم السبت من كل أسبوع ، واليوم الأول من كل شهر قمرى .

صوم النصارى :

وقد ذكر [الإنجيل] الصوم وامتدحه وعدّه عبادة كبرى . ومن المعروف أن

السيد المسيح عليه السلام ، لم يكن يصوم الصيام الشرعى المعهود من قبل ، ولكن يذكر أنه صام مرة أربعين يوماً بلياليها ، ولم يفرض صياماً معيناً ، ولكن جاءت الكنيسة ففرضت الصوم ونظمتة على القواعد والأسس التى وضعها الرسول بولس فى كتابه [أعمال الرسل] .

صيام الصمت :

ومن أغرب أنواع الصيام . . . صيام الصمت ، وهو يتمثل فى الصمت عن الكلام . وهذا النوع مع غرابته ، معروف لدى الشعوب البدائية والمتحضرة على السواء . وقد عرف هذا النوع من الصيام عند اليهود . وأخبر الله تعالى عنه فى قصة مريم حيث قال :

(فلما ترين من البشر أحداً فقولى إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً) .

فحدد معنى الصوم بالصمت عن الكلام . . .

وكانت شريعة مريم وقتها ، الشريعة اليهودية . وهذا الصيام معروف عند المسيحيين وخاصة طائفة الكاثوليك . ولا تزال الديانات البرهمية ، واليوجا يمارسون هذا النوع من الصيام فى مناطق متعددة فى الهند .

وذكر العالمان [سينسر ، جيلين] فى كتابهما عن سكان أستراليا : أنه يجب على المرأة التى يموت زوجها فى أستراليا أن تظل صائمة عن الكلام لمدة طويلة قد تبلغ فى بعض الأحيان عاماً كاملاً .

صوم عاشوراء .

عن عائشة رضى الله عنها : ان قريشاً كانت تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية .
ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيامه . فلما فرض صيام رمضان قال
الرسول :

« من شاء منكم صام عاشوراء ومن شاء أفطر » .

قال ابن عباس : إن رسول الله قدم المدينة فوجد اليهود يصومون عاشوراء .
ولما سئلوا عن ذلك قالوا :

« هذا اليوم الذي أظهر الله فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون فتحن نصومه
تعظيماً له »

قال الرسول : « نحن أولى بموسى منكم » فصامه وأمر بصومه .

الصوم في الإسلام

الصوم في الإسلام ركن من أركانه الخمسة . ولا يتم دين المسلم إلا به ، ولا يكمل إلا بأدائه . فقد بنى الإسلام على خمسة هي :

- شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

- إقامة الصلاة .

- إيتاء الزكاة .

- صوم رمضان .

- حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً . .

والصوم : هو الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع نية الصوم في نهار لا يحرم صومه .

والصوم في الإسلام ، جاء جديداً في بابه ، فقد فرض صيام شهر بأكمله .

ولهذا الصوم شروط وآداب لا تقف عند الكف عن الطعام والشراب ونحوهما من الأمور التي تتعلق بالجسد ، ولا بالتقشف الظاهري ، وإنما هو حياة روحانية . حياة ذكر ، وفكر . . حياة إحسان ، وبر . وتخلق بمكارم الأخلاق .

فالمقصود بالصيام في الإسلام ، الجانب الروحي ، بأن تصوم العين بغضها عما حرم الله النظر إليه ، وبصوم اللسان عن الكذب والغيبة والنميمة والغش ، وتصوم الأذن عن الإصغاء إلى ما نهى الله عنه ، وتصوم البطن عن تناول الحرام وما فيه من ريبة وشك ، وتصوم اليد عن إيذاء الناس ، وتصوم الرجل عن المشي بالفساد فوق الأرض .

إذا لم يكن في السمع مني تصام
وفي مقلتي غص وفي منطقي صمت
فحظي إذن من صومي الجوع والظما
وإن قلت إني صمت يوماً فما صمت

متى فرض الصوم ؟

فرض صوم رمضان في السنة الثانية من هجرة محمد النبي الأمين عليه أفضل الصلاة والسلام .

متى نصوم ؟

عند رؤية الهلال ليلة الثلاثين من شعبان ، إذا كانت السماء صحوًا وخالية

مما يمنع الرؤية ، أو بإكمال شعبان ثلاثين يوماً إذا لم تتحقق رؤية الهلال ليلة الثلاثين .

(فمن شهد منكم الشهر فليصمه) .

شروط وجوب الصوم :

الإسلام ، البلوغ ، العقل ، النقاء من الحيض والنفاس ، والقدرة على الصوم ، والصحة ، والإقامة .

النية :

ولا يصح الصوم إلا بالنية ومحلها القلب .

أنواع الصيام :

وقد أجمع علماء الدين الإسلامى على أن الصوم أربعة أنواع :

الصوم المفروض :

وهو صوم رمضان وصوم النذر .

الصوم المحرم :

وهو صوم أيام العيدين ، وأيام التشريق الثلاثة ويوم النسك .

الصوم المندوب :

وهو صوم الحرم وأفضله اليوم التاسع والعاشر منه . . . ومنه صيام يومي الاثنين ، والخميس ، وصيام ستة أيام من شوال وصوم الأشهر الحرم .

الصيام المكروه :

إفراد يوم الجمعة بالصيام ، وصيام المرأة من غير إذن زوجها إذا كان الصيام مندوباً ، وصوم الدهر .

ويرى حجة الإسلام أبو حامد الغزالي : أن الصوم ثلاث درجات هي :

صوم العموم :

وهو كف البطن ، والفرج ، وسائر الجوارح عن قصد الشهوة .

صوم الخصوص :

وهو كف السمع ، والبصر ، واللسان ، واليد ، والرجل وسائر الجوارح عن لآثام .

صوم خصوص الخصوص :

وهو صوم القلب عن الهمم الدنية ، وكفه عما سوى الله بالكلية .

ما يبطل الصيام :

يبطل الصيام تعمد الصائم أن يفعل ما حذرت منه الآية الكريمة : من أكل ، أو شرب ، أو جماع .

أمر لا تبطل الصيام :

من غلبه القيء ، ولم يملأ القيء فيه .
من احتلم وعليه الغسل .
من أكل ناسياً أو شرب .
المضمضة أو الاغتسال من الحر .
ويرخص للصائم أن يصبح وهو جنب ، على أن يغتسل قبل صلاة العصر .

ما يبيح الفطر :

يباح للمسافر - سقراً يبيحُ له الفطر - وكذا المريض على أن يقضى كل منهما أياماً في غير رمضان بعدد ما أفطر .
للحامل والمرضع أن تفطر ، والقضاء بعد زوال عوامل الحمل والإرضاع . .
من عجز عن الصيام لشيخوخته ، أو مرض مرضاً لا يرجى برؤه منه أفطر ولا قضاء عليه . . ويجب عليه الفدية إن كان قادراً عليها .

الصيام والصحة

- قال محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وسلامه :
«نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع» .
- وقيل ليوسف عليه السلام :
لم تجوع وفي يدك خزائن الأرض ؟
فقال :
أخاف أن أشبع فأنسى الجائع .
- وقال لقمان الحكيم :
إذا امتلأت المعدة ، خرست الحكمة ، ونامت الفطنة ، وسكت الأعضاء عن
العبادة .
- يعد حكيم الإغريق الشهير (أبو قراط) من أوائل الذين بحثوا موضوع الصوم

من الوجهة الصحية ، وله في ذلك كتبه التي ألفها في شئون التغذية والعلاج بالغذاء . . هذا إلى جانب حكمه ووصاياه الطبية وما فصله في حكمته (الثالثة عشرة) من اختلاف تحمل الصوم باختلاف أعمار الصائمين ونوع العمل الذي يزاوله كل صائم ، الأمر الذي يدل على معرفته بما حققته الأبحاث العلمية من (فسيولوجيا) الغذاء .

وقد أكد (بلزاك) ٤٦ م وكان أشهر علماء عصره . اهتمامه بالصوم العلاجي . فقد كان يرى أن يومًا واحدًا يصومه الإنسان ، هو أفضل من تعاطي ما يشير به الأطباء من الدواء . . . وكثيرًا ما أشاد (سينكا) في الحقبة الأولى من الميلاد ، بهؤلاء الأطباء القدامى الذين كانوا يشيرون على مرضاهم بالصوم . بل إن (كونيلوس) الطبيب الإغريقي كتب في السنة العاشرة الميلادية معللاً ما لوحظ من أن الشفاء أسرع إلى المرضى الأرقاء منه إلى المرضى الأحرار ، قال : (إن هذا يرجع إلى أن الأرقاء أكثر دقة في اتباع نظام الصوم العلاجي) . وحاء الإسلام الذي جعل الصيام ركناً من أركانه الأساسية ، ولم يكثر الحديث عن الصيام كغذاء للروح ، وتطهير للنفس ، وترويض للشهوات ، وتقوية للإرادة . وحث للغنى على التفكير في مصير الفقراء فحسب ، بل عن فائدة الصوم العلاجية .

جاء فيما روى عن الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام من أحاديث : «المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء» . وقيل للأحنف بن قيس : «إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك» . فأجاب

لأحرف : «إني أعده لسفر طويل ، والصبر على طاعة الله سبحانه وتعالى أهون من لصبر على عذابه» .

والصيام يستعمل طبياً في علاج حالات كثيرة ، والوقاية في حالات كثيرة . فهو يعالج اضطرابات الأمعاء المزمنة والمصحوبة بتخمر ، ويعالج زيادة الوزن الناشئة من كثرة الطعام ، ويعتبر الصيام علاجاً لالتهاب الكلى الحاد والمزمن وأمراض القلب ، كما يقي من مرض البول السكري .

والصيام كذلك علاج لأمراض زيادة الحساسية وأمراض البشرة الدهنية . وفي العام الآن مصحات كثيرة يقوم العلاج فيها بالصوم ، وعملها تخلص الجسم من نفايات الغذاء ودسمه وكثرته . وكذلك من السموم الناتجة من التخمرات الغذائية وبقاء فضلاتها في الجسم ، كما أن الصيام راحة إجبارية لمختلف أجهزة الهضم التي هي في مقدمة ما يصيب الجسم من أمراض .

ولعل أشهر المصحات ، هي المصحة التي تحمل اسم الدكتور (هيزيخ لاهان) في درسدن بسكسونيا . ويقوم العلاج فيها على الصوم . قال الدكتور العالمى [اليكسيس كاربل] الحائز على جائزة نوبل في الطب :

«إن الأديان كافة تدعو الناس إلى وجوب الصوم ، إذ يحدث أول الأمر شعور بالجوع ، ويحدث أحياناً التهيج العصبى ، ثم يعقب ذلك شعور بالضعف ، بيد أنه يحدث إلى جانب ذلك ظواهر خفية ، أهم بكثير منه فإن سكر الكبد سيتحرك ويتحرك معه الدهن المخزون تحت الجلد ، وبروتينات العضل والغدد وخلايا الكبد ، وتضحي جميع الأعضاء بمادتها الخاصة ، للإبقاء على كمال الوسط الداخلى ، وسلامة القلب .

وإن الصوم لينظف ويبدل أنسجتنا» .

الصوم في اللغة

جاء في لسان العرب لابن منظور :

« صوم » الصَّوْمُ تَرَكُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالنَّكَاحِ وَالْكَلَامِ صَامَ بِصَوْمٍ صَوْماً وَصِيَاماً وَاصْطَافَ ، وَرَجُلٌ صَائِمٌ وَصَوْماً مِنْ قَوْمٍ صَوَّامٍ وَصِيَّامٍ وَصَوْماً بِالتَّشْدِيدِ ، وَصِيَّيمٍ ، قَلْبُوا الْوَاوِ لِقُرْبِهَا مِنَ الطَّرْفِ وَصَوْماً وَهُوَ اسْمٌ لِلْجَمْعِ وَقِيلَ : هُوَ جَمْعُ صَائِمٍ وَقَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ (إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً) ، قِيلَ : مَعْنَاهُ صَمْتًا وَيُقَوِّيه قَوْلُهُ تَعَالَى (فَلَنْ أَكَلَّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) .

في الحديث : قال النبي صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى « كلُّ عمل ابنِ آدمَ له إلا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي » .

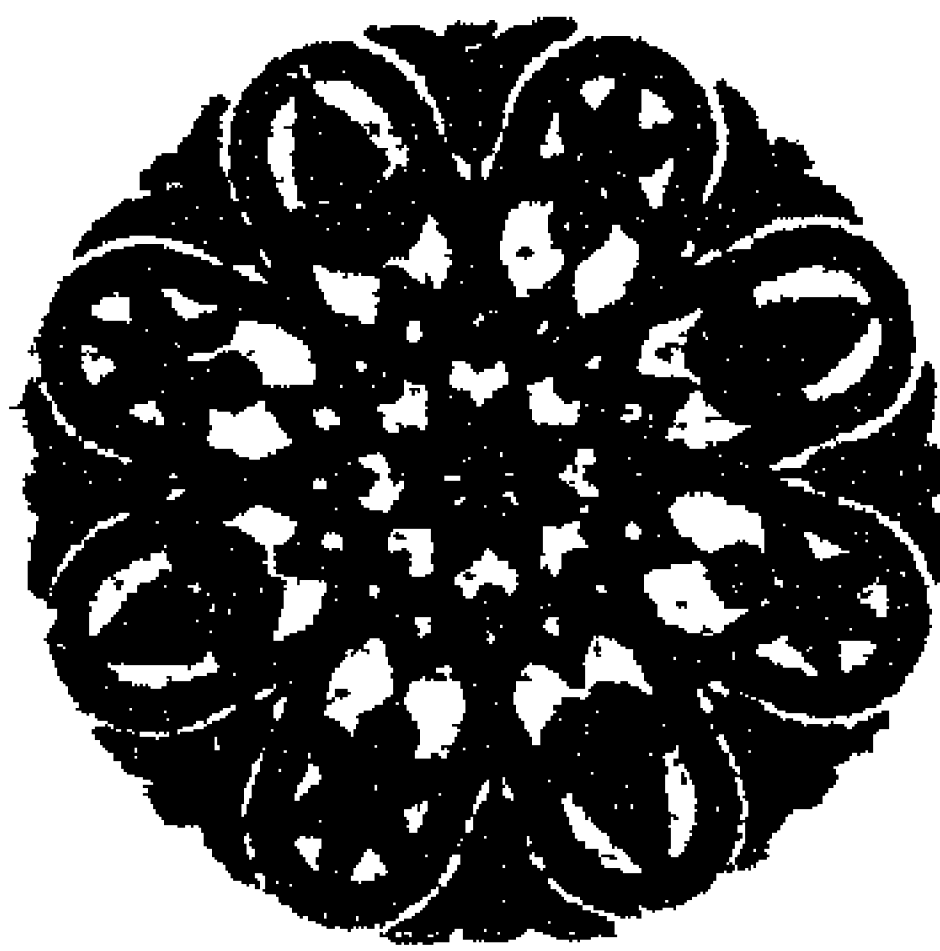
ويقالُ رَجُلٌ صَوْماً ، وَرَجُلَانِ صَوْماً وَقَوْمٌ صَوْماً وَامْرَأَةٌ صَوْماً ، لَا يُشْتَرَكُ وَلَا يُجْمَعُ لِأَنَّهُ نَعْتُ بِالْمَصْدَرِ وَتَلْخِيصُهُ رَجُلٌ ذُو صَوْماً وَقَوْمٌ ذُو صَوْمٍ وَامْرَأَةٌ ذَاتُ

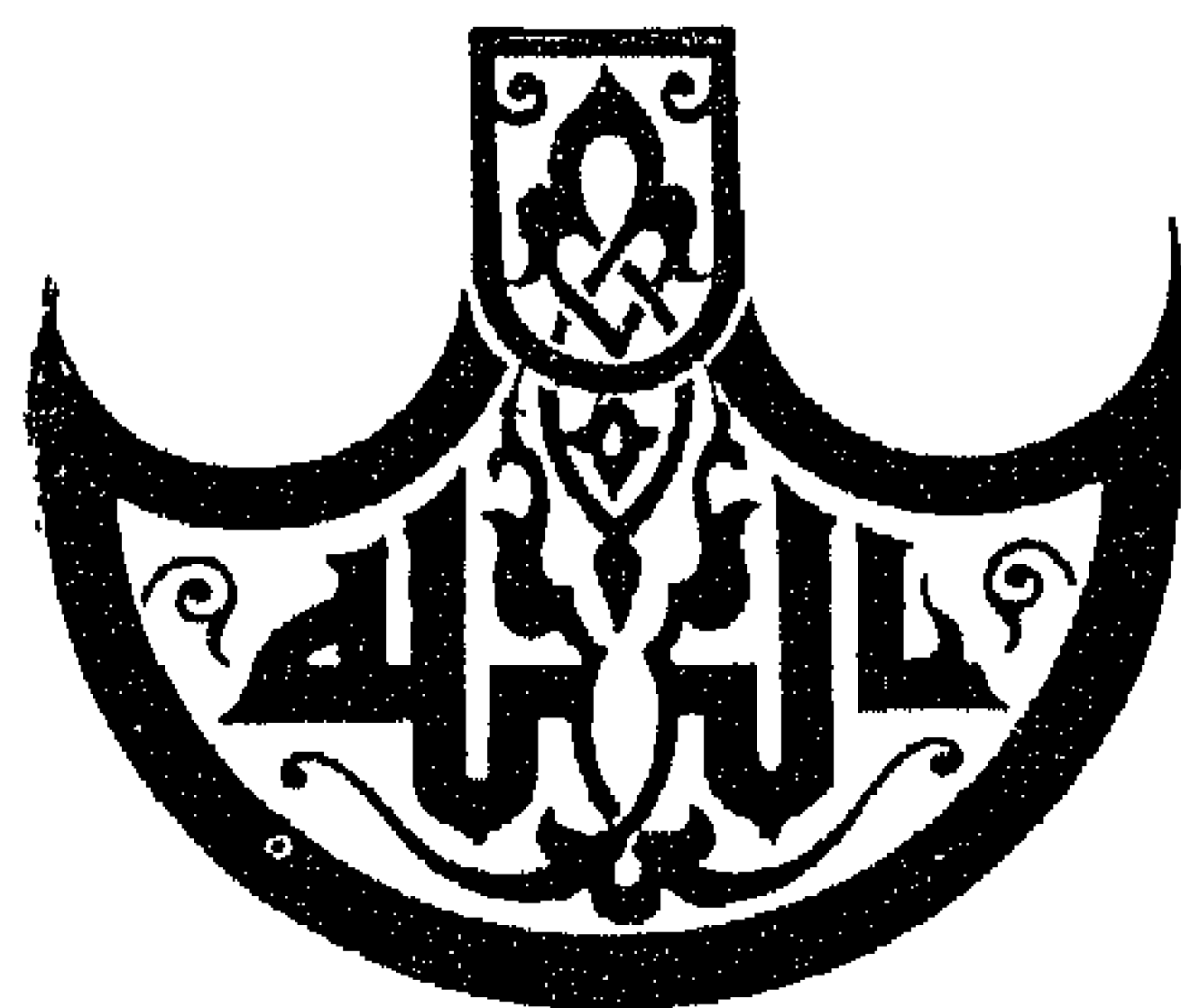
صوم ، ورجلٌ صَوَّامٌ قَوَّامٌ إذا كان يصوم النهارَ ويقومُ الليلَ ورجالٌ ونساءٌ صُومٌ
وضيمٌ وصَوَّامٌ وصَيَّامٌ .

وقال الجوهري : رَجُلٌ صَوْمَانٌ ، أَيَّ صَائِمٌ ، وصَامَ الفرسُ صَوْمًا أَي قامَ
على غيرِ اعتلاف .

قال النابغة :

خَيْلٌ صِيَّامٌ وَخَيْلٌ غَيْرٌ صَائِمَةٍ
تَحْتَ الْعَجَاجِ وَأُخْرَى تَعْلُكُ اللُّجُمَا





رمضان في الشعر العربي

لحكمة عالية ، وإرادة سامية شرع الله الصيام . لا ليحرم المرء الشراب ، والطعام ، ولا أن يذيقه نوعاً من العذاب والآلام .. ولكن ليهذب ما فيه من طبع ، ويقوم ما اعوج من خلق .

فالصيام منهج إنساني ، يربي في النفس عاطفة الرحمة ، وسلوك يدفع إلى امتثال الأوامر ، واجتناب المعاصي ، وخلق يدعو إلى الصفح والتسامح ، وتعاون يفرض على الإنسان ألا يشبع ويترك الآخرين جوعاً .

وإذا كانت الحياة في الجزيرة العربية أصلاً قاسية غاية القسوة ، جافة غاية الجفاف ، ولم يتعود العرب في الجاهلية صوم شهر بأكمله ، فقد كان من المسلمين من تقبل هذا القيد الجديد الذي فرضه الإسلام طائعاً .. ومنهم من كان له كارهاً .. ومنهم من كان منه مغيظاً .

وإذا كان الأدب هو صوت الحياة .. ومآتها ، فلا بد وأن يتأثر بدوره بهذه الحياة ، التي فرضها الدين الجديد ، والشعراء والأدباء هم أول من يتأثر بما حولهم من أحداث ، وعلى قدر تأثرهم وما تحمل نفوسهم من مشاعر العاطفة نحو كل حدث جديد ، يكون تعبيرهم عنه .

قدم أعرابي على ابن عم له في الحضر فأدركه شهر رمضان ، فقبل يا أبا عمرو : لقد أتى شهر رمضان !

قال : وما شهر رمضان ؟

قالوا : الإمساك عن الطعام والشراب .

قال : أبالليل أم بالنهار ؟

قالوا : بالنهار .

قال : أفيرضون بدلاً من الشهر ؟

قالوا : لا .

قال : فإن لم أصم فاعلوا ماذا ؟

قالوا : تضرب ، وتحبس .

فصام أياماً فلم يصبر فارتحل عنهم وهو يقول :

يَقُولُ بَنُو عَمِّي وَقَدْ زُرْتُ مِصْرَهُمْ
تَهَيَّأْ أَبَا عَمْرٍو لَشَهْرِ صِيَامِ
فَقُلْتُ لَهُمْ هَاتُوا جِرَاجِي وَمِزْوَدِي
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ فَاذْهَبُوا بِسَلَامٍ

فَبَادَرْتُ أَرْضًا لَيْسَ فِيهَا مُسَيِّطَرٌ
عَلَيَّ وَلَا مَنَاعٌ أَكُلُ طَعَامَ

ونحن على كثرة ما نقبنا في ديوان الشعر العربي عن رمضان وأخباره في عهد الرسول عليه صلوات الله وسلامه ، وعهد الخلفاء الراشدين ، لم نجد إلا أقل من القليل مما يشفي غليل المؤمن بالله وباليوم الآخر .

ومن ذلك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصوم صوم الوصال .. وهو أن يصوم ثلاثة أيام بلياليها لا يفطر فيها ، وقد أراد كعب بن مالك وهو أحد ثلاثة شعراء هم حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك ، وقد أراد كعب أن يفعل ما فعل الرسول ، فيصوم صوم الوصال فنهاه عليه الصلاة والسلام عن ذلك وقال :
« أبيع هذا لي .. ولم يبيع لأمتي ... »

فقال كعب رضي الله عنه :

بِنَفْسِي ، وَأَهْلِي وَالَّذِينَ أَحْبَبْتُمْ
لَصَوْمِي صَوْمُ النَّاسِكِينَ ذُو الْبِرِّ
فَإِنْ صُمْتُ صَوْمَ الْوِصَالِ فَإِنِّي
قَمِينٌ بَأَنَّ أَلْقَى رِضَاكَ إِلَى الْحَشْرِ
وَمَا كَبَتَ الْأَعْدَاءُ إِلَّا نَكُوصُهُمْ
عَنِ الْخَيْرِ مَا بَيْنَ الْمَدْلَةِ وَالْعُسْرِ

ولو شاء ربِّي كانَ صَوْمِي كُلُّهُ
وَصَالاً فلمْ يُصْبِحْ من العام في شهرٍ

وقد كان يحلو للخلفاء الراشدين أن يتشددوا في أمور الدين متشبهين بصاحب
الرسالة الأعظم .. فلم يرتفع صوت الشعر عاتباً على رمضان ما قيدهم به من
صيانة البطن والفرج من كل ما ينعمون به من مطاعم وملذات ، وهم قوم حديثو
عهد بالجاهلية ، ولم تتعود نفوسهم الخضوع للقيد .. وقد عاشوا حياتهم في حرية
مطلقة غير آبهين بشيء ولا خائفين من سلطان ..

حتى إذا جاءت دولة بني أمية .. وقل تشدد خلفاء بني أمية في أمور الدين ..
استمعنا إلى كثير من المغيظين من رمضان المتبرمين منه .

قال الفرزدق مُسْتَقْبِلاً أيام رمضان :

إذا ما انقضى عشرون يوماً تَتَابَعَتْ
أراجيفُ بالشَّهرِ الذي أنا صَائِمُهُ
وَدَارَتْ رِقَاعٌ بالمواعيدِ بَيْنَنَا
كَمَا يَلْتَقِي مَظْلُومٌ قَوْمٍ وَظَالِمُهُ

بل إن هناك من شعراء دولة بني أمية من أفحش في هجاء رمضان .
دخل الأخطل التغلبي على عبد الملك بن مروان وهو يتمايل من فرط ما شرب ،
وكان جرير الشاعر جالساً مع عبد الملك فقال جرير :

أففى رَمَضانَ تَشْرِبُهَا جَهَاراً وتَدْخُلُ لِلْخَلِيفَةِ لا تُبَالِي
أَفِقْ يا عَبدَ تَغْلِبَ لَسْتَ كُفُفًا لما حَمَلَتْ عَدَاوَاتُ الرِّجَالِ

وَلَوْ شَاءَ الْخَلِيفَةُ كَانَ سِيفِي مُؤَدَّبَ ذِي الضَّلَالِ مِنَ الضَّلَالِ

فأجابه الأخطل التغلبي :

شَرِبْنَاها وَدَارَ بها عَلَيْنَا أَغْنَى مُقَرَّطَقُ وَافِي السَّالِ
إِذَا سَمِعَ الْمُؤَذِّنَ وَهُوَ يَدْعُو تَنَكَّبَ عَنْهُ آخِرَةُ اللَّيَالِي
وَلِي دِينٌ وَلِلْأَعْرَابِ دِينٌ تُشَدُّ إِلَيْهِ أَكْثَارُ الرِّحَالِ
فَمَا لَابَنَ الْمَرَاغَةِ يَجْتَوِينِي وَمَا يَدْرِى الْحَرَامَ مِنَ الْحَلَالِ
وَلَوْ شَاءَ الْخَلِيفَةُ كَانَ عِنْدِي أَذْلٌ عَلَى الطَّرِيقِ مِنَ النِّعَالِ

فغضب الخليفة من جرأة الأخطل . وقال له :

أفى رمضان وتقر بشرها ؟

ثم أمر الحرسى أن يقوده إلى السجن .

قال جرير :

سَتَشْرَبُ فِي السَّجْنِ الَّتِي مَا شَرَبْتَهَا بِكَأْسٍ وَلَا دَارَتْ عَلَيْكَ بِحَانِ
فَهَذَا جَزَاءُ الْكَافِرِينَ إِذَا انْتَهَوْا إِلَى غَايَةٍ مِنْ ذِلَّةٍ وَهَوَانِ

فرد الأخطل وهو فى يد الحرسى :

سَتَسْمَعُ مَا لَمْ يَسْمَعْ النَّاسُ مِثْلُهُ وَلَا شَهِدَ الْعِبَادُ فِي رَمَضَانَ
إِذَا مَا تَهَادَتْهَا الْقِبَائِلُ . . لَمْ تَجِدْ بِأَفَاقِهَا إِلَّا أَذْلَ مَكَانِ

وقد استجاب الله جلّت قدرته إلى دعوة أبى عيسى بن الرشيد الذى كانت

دعوته بالا يصوم رمضان آخر فمات قبل حلول رمضان التالى :

دَهَانِي شَهْرُ الصَّوْمِ لَا كَانَ مِنْ شَهْرٍ وَلَا صُمْتُ شَهْرًا بَعْدَهُ آخِرَ الدَّهْرِ
وَلَوْ كَانَ يُعْدِينِي الْإِمَامُ بِقُدْرَةٍ عَلَى الشَّهْرِ لَا سَتَعْدَيْتُ دَهْرِي عَلَى الشَّهْرِ

فرمضان صادف أول ما صادف هؤلاء المتمردين من أمثال الأخطل التغلبي ،
ونحن إذا استبعدنا الأخطل لجرأته ووقاحته بسبب دالته على الخليفة ، فماذا نقول في
الوليد بن يزيد الخليفة الأموي الفاجر الذى استفتح المصحف الشريف يوماً فإذا
هذه الآية الكريمة :

(ونخاب كل جبار عنيد) .

فغضب ونصب المصحف ورماه بالسهام وهو يقول :

أَتُوْعِدُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ فَهَآ أَنَا ذَاكَ جَبَّارٌ عَنِيدُ
إِذَا قَابَلْتَ رَبَّكَ يَوْمَ بَعْثٍ فَقُلْ يَا رَبِّ مَرْقَى الْوَلِيدُ

ماذا تقول فيه . . وقد جلس في شهر الصوم إلى (حبابة) جاريته يبادلها كأساً
بكأس ، وغراماً بغرام ، حتى إذا لم يبق على الفجر غير ساعة ولم يبق في الإناء غير
كأس قال :

- غنني يا حبابة . .

فتقول له :

وما يقترح أمير المؤمنين . . ؟

فيقول :

مازلت أستحسن قول الأحوص :

لَمْ يَبْقَ مِنْ رَمَضَانَ إِلَّا لَيْلَةٌ فكأنَّها من طُولِها لَيَّالَتْ
سَيَغِظُ عِبَادَ الْمَدِينَةِ أَنِّي أَحْيَا بِهَا وَهُمْ بِهَا أَمْوَاتُ
وَلَوْ الْعَقِيقُ وَمَاؤُهُ وَقَطِينُهُ فِيهِ لَنَا حَانٌ وَفِيهِ سُقَاةُ
ذَهَبَ الْحَجِيجُ إِلَيْهِ لَا يَلْوِي بِهِمْ رَكْنُ الْحَطِيمِ وَلَا دَنَا عَرَفَاتُ

هذا هو الوليد الخليفة الأموي الذي تجرأ على المصحف الشريف ، وعلى رمضان المعظم ، وعلى شعائر الدين وتقاليد أمته الإسلامية ، حتى انتهى إلى المصير الذي ينتهي إليه أمثاله من الكفرة والملحدون ، حيث قتل بعد أسبوع واحد من رميه المصحف الشريف بالنشاب .

فإذا تركنا الوليد الفاجر ، والتغلبى الكافر ، فما نكاد نجد إلا شعراء فنانين غلبتهم طبيعة الفن ، ونزعة التمتع بالحياة ، فما إن يروا شهر رمضان مقبلا حتى يحتالوا للتخلص منه ، والهروب من لوم اللائمين فيه ، والمتشددون في صيامه .

من هؤلاء « أبو عمرو الهندي » وهو عربي من أشراف بني تميم ، إلا أن ولعه بالخمر قعد به عن منزلته . وكان أبو عمرو أستاذ والبة بن الحباب وأبي نواس ، وعليه تخرجنا في معاني الخمريات التي ابتكراها وعرفت عنهما .

وكان أبو عمرو يسكن بغداد فإذا أقبل رمضان فارقها إلى فارس ، حيث يعكف على الشراب في بيوت المجوس ، أو أديرة النصارى في الشام ، وفيها يجد

بغيته من الشراب واللهو ، ويظل كذلك حتى إذا انقضى شهر الصوم عاد أدراجه إلى بغداد .

ومما قاله في ذلك :

شَهْرُ الصِّيَامِ دَنْتُ مِنَّا طَلَائِعُهُ فَارْحَلْ لِفَارِسٍ أَوْ فَارْحَلْ إِلَى الشَّامِ
وَكَيْفَ يَعْرِفُنِي مَنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ لَا الدَّارُ دَارِي وَلَا الْأَقْوَامُ أَقْوَامِي
حَيَّوْا بِأَزْهَارِهِمْ حَتَّى إِذَا قَرَبْتُ مِنْهَا الْأَبَارِيقُ حَيًّا جَامَهُمْ جَامِي

والظاهر مما يروى من حكايات الأعراب التي مربنا بعضها والتي سيمر بنا شيء منها .. وما قرأناه عنهم غير ذلك ، أنهم كانوا كما قال القرآن الكريم :

(الأعراب أشد كفرًا ونفاقًا وَأَجْدَرُ ألا يعلموا حدود ما أنزل الله) .

فقد كانوا لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ، ولا يعرفون من الشرع إلا رسمه ، ولا يكادون يفقهون شيئًا من أصول العبادات ، لبعدهم في البادية عن العلماء والواعظين ، وانشغالهم بأمور الدنيا والنضال في سبيل العيش ، في صحرائهم القاحلة التي لا تجود عليهم إلا بالتمر اليسير ، من العشب ترعاه الماشية والأنعام والماء يتبلغون به ، ويعيشون عليه .

ومن طريف ما يروى : أن أعرابيا دخل على زياد بن أبي سفيان ، وهو والي بالعراق في رمضان ، فقال له بعد أن استقر في مجلسه :

لقد حانت صلاة العصر

فأدرك زياد ما يعنيه فقال له :

- صلَّ حيث أنت

قال الأعرابي :

— ما أردت ذلك

فقال زياد :

— ما تريد يا أخا العرب ؟

قال الأعرابي :

— أتعلمون غذاءكم وعشاءكم معاً . . ؟

فضحك زياد وقال :

— ألسن صائماً ؟

قال الأعرابي

بَلَى إِنِّي مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ صَائِمٌ	وَلَيْسَ بِغَيْرِ الْمَاءِ لِي زَادُ مُفْطِرٍ
أَدِيمٌ مِطَالِ الْجُوعِ حَتَّى كَأَنِّي	نَسِيتُ طَعَامِي بَيْنَ أَهْلِي وَمَعْشَرِي
وَنَحِيلٌ لِي مِنْ وَطْأَةِ الْجُوعِ أَنِّي	سَأْكُلُ دِرْعِي أَوْ سَأْكُلُ مَغْفَرِي
وَيَصْرُخُ بَطْنِي مُسْتَغِيثًا وَشَاكِيًا	فَيُسْكِيْتُهُ عَنْ غَيْرِ شَيْءٍ تَصْبَرِي

فأخذ زياد يضحك حتى كاد يستلقي على قفاه . . وقال للخدم : قدموا له
المائدة حتى لا يأكل درعه . .

ومر رجل بأعرابي يأكل في رمضان فقال له : ألا تصوم يا أعرابي ؟
فقال له :

وصائمٌ هَبَّ يَلْحَاكُنِي فَقُلْتُ لَهُ	أَعْمَدُ لَصُومِكَ وَاتْرَكْنِي لِإِفْطَارِي
وَاضْمًا فإِنِّي سَأُرَوِي ثُمَّ سَوْفَ تَرَى	مَنْ ذَا يَصِيرُ إِذَا مِتْنَا إِلَى النَّارِ

وقال ذلك المجوسى التائه بين الضلال واليقين :

وَجَدْنَا دِينَكُمْ سَهْلًا عَلَيْنَا شَرَّائُهُ سِوَى شَهْرِ الصَّيَامِ

ولم يكن حظ شعراء دولة بنى العباس ، أسعد حظاً من شعراء دولة بنى أمية

قال الشاعر العباسى ديك الجن الحمصى :

وَحَيَاةِ ظَبْيٍ لَمْ أَصْمُ عَنْ ذِكْرِهِ إِلَّا عَضَضْتُ تَنَدُّمًا إِبْهَامِي

لَأُشَافِيَهُنَّ مِنَ الذُّنُوبِ عِظَامَهَا يَنْقَدُّ عَنْهَا جِلْدٌ كُلُّ صِيَامٍ

وراح (بشار بن برد) يترقب هلال شوال ليخلص من مضايقات شهر

رمضان :

قُلْ لِشَهْرِ الصَّيَامِ أَنْحَلْتَ جِسْمِي فَمَتَّى يَأْتُرُنِ طُلُوعُ الْهِلَالِ

اجْهَدِ الْآنَ كُلَّ جَهْدِكَ فِينَا سَتَرَى مَا يَكُونُ فِي شَوَالِ

وينتظر (أبو نواس) ذهاب رمضان ومجيء شوال ، ليستطيع أن يفسق ويفجر

كما يهوى ويشاء :

لَقَدْ سَرَّنِي أَنَّ الْهِلَالَ غُدِيَّةٌ بَدَا ، وَهُوَ مَمَشُوقُ الْخَيَالِ دَقِيقُ

أَضَرَّتْ بِهِ الْأَيَّامُ حَتَّى كَأَنَّهُ سِنَانٌ لَوَاهُ بِالْيَدَيْنِ رَفِيقُ

وَقَفْتُ أَعْزِيهِ وَقَدْ دَقَّ عَظْمُهُ وَقَدْ حَانَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ شُرُوقُ

لِيَهْنَ وُلَاةُ اللَّهِ أَنْكَ هَالِكُ فَأَنْتَ بِمَا يَجْرَى عَلَيْكَ خَلِيقُ

وَإِنِّي بِشَهْرِ الصَّوْمِ إِذْ بَانَ شَامِتٌ وَإِنَّكَ يَا شَوَالِ لِي لَصَدِيقُ

لَقَدْ عَاوَدَتْ نَفْسِي الصَّبَابَةَ وَالْهَوَى وَحَانَ صَبُوحٌ بَاكِرٌ وَغَبُوقُ

وهو ساخط على رمضان ناقم عليه ، فهو الذى أمات لهوه . وهو الذى عطل

مجنونه :

أَبَا الْعَبَّاسِ كُفَّ عَنِ الْمَلَامِ	وَدَعُ عَنْكَ التَّعَمُّقَ فِي الْكَلَامِ
فَقَدْ وَحْيَاةٍ مَنْ أَهْوَى وَتَهْوَى	أَقَامَ قِيَامَتِي شَهْرُ الصَّيَامِ
أَمَاتَ مَجَانَّتِي وَأَبَادَ لَهْوِي	وَعَطَّلَ رَاحَتِي مِنَ الْمُدَامِ
وَلَوْ أَبْصَرْتَنِي عِنْدَ الشَّوَارِي	أَطُوفُ عِنْدَ تَأْذِينِ الْإِمَامِ
عَلِمْتَ بَأَنِّي عَذَّبْتُ نَفْسًا	لَهَا عَادُ وَرَسْمٌ فِي الْحَرَامِ
فَكَمْ لِي ثُمَّ مِنْ تَقْبِيلِ خَدٍّ	وَمِنْ عَضِّ وَرَشْفٍ وَالتَّزَامِ

ويثور به الحقد حتى ليتمنى قتل هذا الشهر الذى يؤرقه ، ويخشى فيه من حكم

الناس عليه :

أَلَا يَا شَهْرُ كَمْ تَبَقَى	مَرِضْنَا وَمَلَلْنَاكَ
إِذَا مَا ذُكِرَ الْحَمْدُ	لِشَوَالٍ ذَمُّنَاكَ
فَيَا لَيْتَكَ قَدْ بِنْتَ	وَمَا نَطْمَعُ فِي ذَاكَ
وَلَوْ أَمْكَنَ أَنْ يُقْتَدَ	لِ شَهْرٍ لَقَتَلْنَاكَ

وهو لا يسكت عند حد الحقد على الشهر الفضيل . . ولا عند تمنياته بزواله

ليجد مجونه فى شوال ، بل يذهب مع الفسق والضلال إلى أن يقول :

إِذَا طَالَ شَهْرُ الصَّوْمِ قَصُرَتْ طُولُهُ	بَصْهَبَاءَ يَحْكِي الْجُنَّارُ احْمَرَّارُهَا
يُقَصِّرُ عُمَرُ اللَّيْلِ إِنْ طَالَ شُرْبُهَا	وَيَعْمَلُ فِي عَمْرِ النَّهَارِ خُفَّارُهَا

وهو لا ينجس من شرب الراح في رمضان لومة لائم ، ولكن أين ذلك السكن
الذي يسعد فيه بالشرب بعيداً عن الأذى ؟

لَوْ كَانَ لِي سَكَنٌ بِالرَّاحِ يُسَعِدُنِي	لَمَّا انتظرتُ شُربَ الراحِ لإفطاراً
الراحُ شَيْءٌ عَجِيبٌ أَنْتَ شَارِبُهُ	فاشربْ وإنْ حَمَلَتْكَ الراحُ أَوْزَاراً
يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى صَفَرَاءِ صَافِيَةٍ	صِرَ فِي الْجَنَانِ وَدَعْنِي أَسْكُنُ النَّارَ

وعلى الرغم من أنه لا يرعى لرمضان حرمة ، وعلى الرغم من تمتعه فيه بما
يطيب له من منكرات ، فهو يطلب أن يعرضه شوال أضعاف أضعاف ما فاته في
رمضان :

اسْتَعِذْ مِنْ رَمَضَانَ	بَسُلَافَاتِ الدُّنْيَانِ
وَاطْوِ شَوَالاً عَلَى الْقَصْدِ	فِرَ وَتَغْرِيدِ الْقِيَانِ
وَلِيَكُنْ فِي كُلِّ يَوْمٍ	لَكَ فِيهِ سَكْرَتَانِ
مَنْ شَوَالٌ عَلَيْنَا	وَحَقِيقٌ بَامْتِنَانِ
أَوْفَقُ الْأَشْهُرِ مَا أَبْعَدُ	هَـمَا عَنْ رَمَضَانَ

ويقول متيها : .

نُبِتُ أَنَّ فَتَاةً كُنْتُ أَخْطُبُهَا عُرْقُوبُهَا مِثْلَ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي الطُّولِ

ويبلغ به المجون والكفر حداً يجمع فيه بين الخمر والمصحف ويقول :

وَضَعِ الزَّقَّ جَانِبًا وَمَعَ الزَّقِّ مُصْحَفًا

وَاحْسُ مِنْ ذَا ثَلَاثَةً وَاثْلُ مِنْ ذَاكَ أَحْرُفًا
خَيْرُ هَذَا بِشَرِّ ذَا فَلِذَا اللَّهُ قَدْ عَفَا

وأبو نواس هذا الماجن الضال . . الذى ارتكب الموبقات وعاش عمره فى الضلال وانتهاك الحرمات ، تصدمه الحقيقة المرة فى أواخر أيام حياته ، ويحس بدنو يوم الحساب ولات ساعة مندم . .

فأبو نواس يثوب إليه عقله . . ويعود بتوسلاته إلى الحى الباقى الذى لا يموت رب السموات والأرض ، فى آيات كلها ضراعة ، ويتمنى أن تطول أيام رمضان بعد أن كان يرجو زوالها :

شَهْرُ الصَّيَامِ غَدًا مُوَاكِهَةً فَلْيَعْقِبَنَّ رَعِيَّةَ النَّسْكِ
أَيَّامَهُ كُونِي سِنِينَ . . وَلَا تَفْنَى فَلَسْتُ بِسَائِمٍ مِنْكَ

ويتوجه بخشوعه ، وضراعته إلى صاحب الملك والسلطان ، فهو الواحد الذى لا يخيب دعاء من يسأله ، وهو الملك الذى لا شريك له فى ملكه ، له العزة وله الحمد .

إِلَهَنَا مَا أَعْدَلَكُ مَلِيكَ كُلِّ مَنْ مَلَكَ
لَسْبِيكَ قَدْ لَبَّيْتُ لَكَ
لَبِيكَ إِنَّ الْحَمْدَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَشَرِيكَ لَكَ
وَاللَّيْلُ لَمَّا أَنْ حَلَّكَ وَالسَّابِحَاتُ فِي الْفَلَكَ
مَا خَابَ عَبْدٌ سَأَلَكَ أَنْتَ لَهُ حَيْثُ سَلَكَ
لَوْلَاكَ يَا رَبَّ هَسَلَكَ

لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَشَرِيكَ لَكَ
 يَا غَافِلًا مَا أَغْفَلَكَ عَجَّلَ وَبَادَرَ أَجَلَكَ
 وَاخْتِمْ بِخَيْرِ عَمَلِكَ
 لَبَّيْكَ إِنَّ الْعِزَّ لَكَ وَالْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ
 وَالْمُلْكَ لَشَرِيكَ لَكَ
 إِلَهَنَا مَا أَغْدَلَكَ مَلِيكَ كُلِّ مَنْ مَلَكَ

وهو يعرف أن ذنوبه كثيرة . . لكنه مطمئن إلى أن الله سوف يغفر له هذه
 الذنوب ، فهو الغفور الكريم الرحيم صاحب العفو ، الذي يلجأ إليه كل من أضلته
 الحياة .

يقول :

يَا رَبُّ إِنَّ عَظُمَتُ ذُنُوبِي كَثْرَةً
 فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنْ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
 إِنَّ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ
 فَبِمَنْ يَلُودُ وَيَسْتَجِيرُ الْمُجْرِمُ
 أَدْعُوكَ رَبُّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعًا
 فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ
 مَالِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا
 وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمٌ

ويقول إن الله وسع عفوه كل شيء ، فما من ذنب مهما عظم إلا وعفوه
أعظم :

يا كبير الذنب عفو الله
ليس للإنسان إلا ما قضى الله وقدر
ليس للمخلوق تدبير بل الله المبدب
أعظم الأشياء في أحد غفر عفوه الله أصغر

وقد ذكر محمد بن إبراهيم بن كثير الصوفى . أنه دخل على أبي نواس فى علقته
التي مات بها ، وكان معه على بن صالح الهاشمى فقال له :

- يا أبا نواس أنت فى أول يوم من أيام الآخرة ، وآخر يوم من أيام الدنيا . .
وبينك وبين الله عز وجل هنات فتب إلى الله . .

فبكى أبو نواس ساعة ثم قال :

- ساندونى . . ساندونى

ثم قال :

- أبا الله تخوفونى . . وقد حدثنى حماد بن مسلم عن الرقاشى عن أنس بن مالك

قال :

قال رسول الله ﷺ :

« لكل نبى شفاعه ، وقد جعلت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى يوم القيامة » .
أفترونى لا أكون منهم ؟ ثم أنشد

دَبَّ في الفناء سُفلاً وعلواً	وأراني أموتُ عُضواً فَعْضوا
ذَهَبَتْ شِرَّتِي بِجِدَةٍ نَفْسِي	وتذكرتُ طاعةَ الله نِضْوا
ليسَ من ساعةٍ مضت بي إلا	نَقَصْتَنِي بِمَرِّهَا بِي جُزْوا
لهفَ نفسي على ليل وأيا	م. سلكتُهنَّ لعباً ولها
قد أسأنا كلَّ الإساءة يارَ	ب. فصفحاً عنا إلهي وعفوا

وشابه أبا نواس في ضيقه وتبرمه برمضان . . شاعر العربية ابن الرومي ، الذي كان لا يستطيع أن يصبر على طعام ، ولا أن يحبس نفسه عن لذة ، فكان نهماً بالحياة ، عابداً لها ، منقطعاً إليها ، لا يكاد يصبر على فراق المتعة فيها لحظات ، فما بالك بساعات ، فهو لهذا من أشد الساخطين على رمضان ، ومن أعظمهم هجاء له ، وترجع شدة هجائه إياه إلى قوة شعره ، وعرضه لمعانيه في صورة أخاذة مثيرة وساخرة في بعض الأحيان .

ولقد كان الفرق بين أبي نواس وابن الرومي ، حرص الأول على ذكر الخمر في شعره ، بينما حرص الآخر على ذكر الطعام ، فقد كان نهماً إلى أبعد حدود النهم قال ابن الرومي في رمضان :

شَهْرُ الصِّيَامِ وَإِنْ عَظَّمْتَ حُرْمَتَهُ	شَهْرٌ طَوِيلٌ ثَقِيلُ الظِّلِّ وَالْحَرَكَةِ
يَمْشِي الْهُوَيْنَى فَأَمَّا حِينَ يَطْلُبُنَا	فَلَا السُّلَيْكُ يُدَانِيهِ وَلَا السُّلَكَةُ
كَأَنَّهُ طَالِبٌ وَتَرًّا عَلَى فَرَسٍ	أَجَدُّ فِي إِثْرِ مَطْلُوبٍ عَلَى رَمَكِهِ
أَذْمُهُ غَيْرَ وَقْتٍ فِيهِ أَمْدَحُهُ	مُنْذُ الْعِشَاءِ إِلَى أَنْ تَسْقَعَ الدِّيَكَةُ

يَا صِدْقَ مَنْ قَالَ أَيَّامُ مُبَارَكَةٍ
شَهْرٌ كَانَ وَقُوعِي فِيهِ مِنْ قَلْقِي
إِنْ كَانَ يَكْنِي عَنْ اسْمِ الطَّوْلِ بِالْبَرَكَةِ
وَسُوءِ حَالِي وَقُوعِ الْحُوتِ فِي الشَّبَكَةِ

ويقول في نفس المعنى :

رَمَضَانُ يَزْعُمُهُ الْغَوَاةُ مُبَارَكًا
شَهْرٌ لَعَمْرُكَ لَا يَقِلُّ قَلِيلُهُ
تَتَطَاوَلُ الْأَيَّامُ فِيهِ بِجَهْدِهَا
لَوْ أَنَّهُ لِلْقَاطِنِينَ مَسَافَةٌ
صَدَقُوا وَحَقُّكَ إِنَّهُ لَطَوِيلُ
وَكَذَا الْمُبَارَكُ لَيْسَ مِنْهُ قَلِيلُ
فَكَانَ عَهْدُ الْأَمْسِ مِنْهُ مَحِيلُ^(١)
لَحَسْبْتُ أَنَّ الشَّرَّ مِنْهُ الْمِيلُ

ويمضي ابن الرومي في تطاوله على الشهر الفضيل :

شَهْرُ الصِّيَامِ مُبَارَكٌ لَكِنَّا
مَنْ كَانَ يَأْلَفُهُ فَلَيْتَ خُرُوجُهُ
إِنِّي لَيَعْجِبُنِي تَمَامُ هَيْلَالِهِ
شَهْرٌ يَصْدُ الْمَرْءَ عَنْ مَشْرُوبِهِ
لَا أَسْتَيْبُ^(٢) عَلَى قَبُولِ صِيَامِهِ
حَسْبِي تَصَرُّمُهُ ثَوَابَ قَبُولِهِ
جُعِلَتْ لَنَا بَرَكَاتُهُ فِي طَوْلِهِ
عَنِّي بِجَدْعِ الْأَنْفِ قَبْلَ دُخُولِهِ
وَأُسْرُ بَعْدَ تَمَامِهِ بِنُحُولِهِ
مِمَّا يَحِلُّ لَهُ وَعَنْ مَأْكُولِهِ
حَسْبِي تَصَرُّمُهُ ثَوَابَ قَبُولِهِ

وابن الرومي يعلم أن هناك يوم الحساب ، وأنه يوم طويل على الكفار ، طويل على الذين ضلوا عن سبيل الله ، ومع ذلك فهو سادر في غيه ، متبرم بالشهر الذي فضله الله على كل الشهور :

(١) أي أتى عليه الحول .

(٢) لا يريد الثواب على صيام الشهر ولكن يكفيه ذهاب أيامه .

إذا بَرَّكَتْ في صَوْمٍ لِقَوْمٍ دَعَوْتُ لَهُمْ بِتَطْوِيلِ الْعَذَابِ
وما التَّبريكُ في شهرٍ طويلٍ يُطَاوِلُ يَوْمُهُ يَوْمَ الْحِسَابِ
فلَيْتَ اللَّيْلَ فيه كَانَ شَهْرًا ومَرَّ نَهَارُهُ مَرَّ السَّحَابِ
فلا أَهْلًا بِمَنْعٍ كُلِّ خَيْرٍ وَأَهْلًا بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ

ويقينا أن حياة البادية وما فيها من شطف العيش وقسوة الحياة ، لها أثرها فيما قال الشعراء في هجاء رمضان ، كما أن الذين في الحضر كان من الصعب عليهم أن يصوموا عن الخمر وأن يكفوا عن طلب الملذات ، فإننا على طول ما نقبنا في أخبار الشعر والشعراء في هذه الفترة من الزمن ، نجد أن ما قيل في هجاء رمضان والتبرم به يطغى بكثير على ما قيل في مدحه . . وحتى الذين مدحوا رمضان ، فإن أغلبهم لم يمدحه تقرباً إلى الله عز وجل . . ولكن ليتقرب إلى والٍ أمير طمعاً في مال أو أمر يرجوه .

يقول البحتري وهو من معاصري ابن الرومي للخليفة مادحاً صومه ومهنتا يوم
الفطر :

بالبرِّ صُمْتَ وَأَنْتَ أَفْضَلُ صَائِمٍ وبِسَنَةِ اللَّهِ الرَّضِيَّةِ تُفْطِرُ
فانعمْ بيومِ الفطْرِ عيداً إِنَّهُ يومٌ أغرَّ مِنَ الزَّمانِ مُشَهَّرُ
أظهرتَ عِزَّ المُلِكِ فيه بحفَلٍ لَجِبَ يُحَاطِ الدِّينُ فيه وَيُنْصَرُ

ويقول الشريف الرضي يهنئ (الطائع) العباسي :

تَهَنَّ قُدُومَ صَوْمِكَ يَا إِمَامًا يصومُ مدى الزَّمانِ عَنِ الأَثَامِ
إذا ما المرءُ صَامَ عَنِ الدُّنَايَا فكلُّ شَهْرِهِ شَهْرُ الصَّيَامِ

ونحن إذا غفرنا للبحترى مبالغته في مدح الخليفة ، حين أخذ من الصيام مناسبة
لمدحه دون أن يمتدح هذا الشهر المبارك ، فكيف نغفر لابن الرومي أهاجيه في
رمضان ، وهو المتقرب إلى أحد ممدوحيه بمناسبة شهر الصوم بقوله :

أَقْسَمْتُ وَالْحَنْثُ لَهُ آثَامُ بِمَنْ لَهُ الْمَعَشَرُ وَالْمَقَامُ
أَنَّكَ مَا رَاضَ لَكَ الصَّيَامُ طَرَفًا وَلَا فَرْجًا لَهُ عَرَامُ
لَوْجْهَكَ الْإِجْلَالُ وَالْإِكْرَامُ عَنْ ذَاكَ وَالتَّبْجِيلُ وَالْإِعْظَامُ
فلما جاءت دولة الفاطميين ، وامتدت ظلالها الوارفة على العرب بالخير . .
وجعلت من رمضان موسمًا كريمًا للبدل والعطاء ، اختفى أو كاد ما كان يقوله
الشعراء في هجاء رمضان . . بل إن الشعراء تنافسوا لا في إظهار مشاعرهم نحو هذا
الشهر المبارك الذي أظل الإنسانية في مشارق الأرض ومغاربها ، بالخيرات
والبركات ، وإنما تنافسوا في الحديث عن مباهج رمضان وخيراته ، التي يجود بها
الفاطميون على الناس تمكينًا لدعوتهم وتحبيبًا للناس في مذهبهم ، فلم نعد نستمع
إلى ما كنا نستمع إليه من قبل كقول من قال :

الغوثُ من شهرِ الصَّيَامِ إِذْ صَارَ لِي مِثْلَ اللِّجَامِ
مَا إِنْ أُمْتُعُ بِالنِّسَاءِ وَبِالطَّعَامِ وَبِالْمُدَامِ

ذلك لأن أبا نواس ، وابن الرومي وأمثالهما في دولتي بني العباس وبني أمية ،
كانت تغلبهم طبيعة الفن ، حيث كان رمضان على صورته الحقيقية التي يعيشها
الناس في انقطاع للعبادة ، وانصراف عن الشهوات ، وابتعاد عن الملذات ،
وعكوف على العبادة ، وتوجه إلى الله بالخشوع والدعاء بالليل والنهار اغتنامًا

لرضاه ، وطلباً لرحمته . وكان من يشذ من الناس أو من الشعراء عما ألفه الجمهور ، يخرج على الجماعة بالمعصية ، ويكون جزاؤه الضرب أو السجن ، فضلاً عما يصيبه من أضرار أخرى كالتشهير به بين العامة بصورة ترتعد منها الفرائص أو بإجباره على التخفى عن العيون والانزواء بعيداً عن المجتمع .

أما عصر الفاطميين وما تلاه من عصور ، فقد خفت الوطأة وسهلت الأحكام ، ولم يتشدد الولاة في توقيف رمضان وصون شعائره ، وأصبح رمضان مصدر الخير ، وسبيلاً للتنعم بأطياب الحلوى والطعام ، إلى حد اختراع صنوف لم تكن موجودة من قبل .

على أن ما مدح به الشعراء رمضان لم يحدثونا فيه عن مشاعرهم نحوه ، وإنما جاء مدحهم له من خلال مدحهم للخليفة :

لهينك أن الصوم فرض موكد	من الله مفروض على كل مسلم
وأنت مفروض المحبة مثله	علينا بحق قلت لا بالتوهم
فَهَيْتُهُ يَا مَنْ بِهِ اللهُ قَابِلٌ	من الخلق فيه كلُّ نُسكٍ مُقَدَّم
ولا زلتَ مَنْصُورًا على فرضِ صَوْمِهِ	ومُعْتَصِمًا بالله من كلِّ مَحْرَم

وقال شاعر الفاطميين عمارة اليمنى :

وَهَيَّتَ مِنْ شَهْرِ الصَّيَامِ بَزَائِرَ	مُنَاهُ لَوْ أَنَّ الشَّهْرَ عِنْدَكَ أَشْهُرُ
وما العيدُ إلا أَنْتَ فانظر هلاله	فَمَا هُوَ إِلَّا فِي عَدُوِّكَ خِنْجَرُ

فرمضان هنا مناسبة ، قيل فيها الشعر لمدح الخليفة وليست موضوعاً ولا فناً أصيلاً من فنون الشعر العربي .

وحتى الذين عبروا عن مشاعرهم نحو رمضان ، لم يعبروا عن المفاهيم الحقيقية لهذا الشهر المعظم ، وما جاء به من تعاليم من أجل خير الناس أجمعين .

قال الأمير تميم بن المعز لدين الله :

يا شهرَ مُفْتَرَضِ الصَّوْمِ الَّذِي خُلِّصْتُ
أَرْمَضْتَ يَا رَمَضَانُ السَّيِّئَاتِ لَنَا
وليت ظَلَّكَ عَنَّا غَيْرُ مُنْتَقِلٍ
فيه الضَّائِرُ وَالْإِخْلَاصُ لِلْعَمَلِ
بِشُرْبِنَا لِلتَّقَى عَمَلًا عَلَى نَهْلِ
بِصَالِحٍ وَخُشُوعٍ غَيْرِ مُنْفَصِلٍ

وقال الصاحب بن عباد :

قَدْ تَعَدَّوْا عَلَى الصَّيَامِ وَقَالُوا
كَذَبُوا فَالصَّيَامُ لِلْمَرْءِ مَهْمَا
مَوْقِفٌ بِالنَّهَارِ غَيْرُ مُرِيبٍ
حُرِّمَ الصَّبُّ فِيهِ حُسْنُ الْعَوَائِدِ
كَانَ مُسْتَقِظًا أَتَمَّ الْفَوَائِدِ
وَاجْتِمَاعٌ بِاللَّيْلِ عِنْدَ الْمَسَاجِدِ

وما لهذا فرض الصيام . . وإنما لحكمة من لدن ربك أجل وأعظم وأسمى ، وما الوقوف غير المريب بالنهار ، والاجتماع بالليل في المساجد ، إلا مظهرًا من مظاهر هذا الشهر المبارك العظيم .

ورمضان في الشعر المعاصر ، يخلق شعراؤه أحيانا وهبوطون ، ولكنه ليس رمضان الذي قال فيه أبو نواس :

اسْتَعِذْ مِنْ رَمَضَانَ بِسَلَفَاتِ الدَّنَانِ

ولا رمضان الذي يقول فيه الشاعر مادحا الخليفة :

لَيْنٌ كَانَ شَهْرُ الصَّوْمِ أَفْضَلَ حَوْلِهِ لَفَضْلُكَ فِي أَبْنَاءِ جَنْسِكَ أَفْضَلُ
وَأِنْ تَكُنْ فِيهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ إِنَّهَا لِفَيْكِ مَعَانِيهَا الَّتِي تَتَأَوَّلُ
وَحَسْبُكَ أَنَّ الصَّائِمِينَ لَهُ إِذَا طَوَّأُوا عَنْكَ فِيهِ النَّصْحَ لَمْ يُتَقَبَّلُوا

فلم يعد للشعر في العصر الحديث وقفة بباب الخليفة لاستجداء العطاء . . ولم
يعد رمضان باباً يقصده الشعراء . بالذم والهجاء ، فللدين هيئته التي يقف عندها
كل مبشر ضال عن سبيل الهداية .

إنه رمضان الخير الذي يرجع الروح إلى منبعها الأزلى فتبرأ من أدران الحياة ،
وتتخلص من مبادئ الدنيا ، وتتجه إلى الله خالق السموات داعية مكبرة شاكرة
أياديه الكرام .

إنه رمضان ، الضيف الكريم الذي يعاود في كل عام مزاره ، حاملاً سنناً
علوية النظام كما يصوره الشاعر محمود حسن إسماعيل :

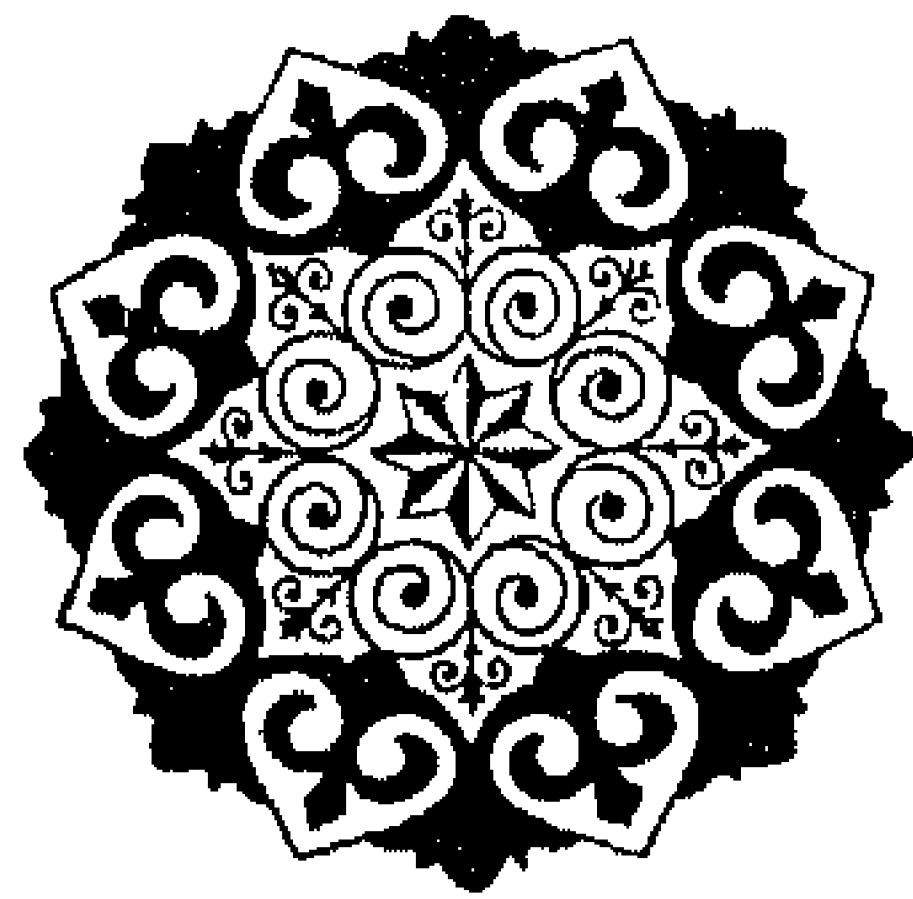
أَضِيفُ أَنْتَ حَلٌّ عَلَى الْأَنَامِ وَأَقْسَمَ أَنْ يُحْيَا بِالصَّيَامِ
قَطَعْتَ الدَّهْرَ جَوَابًا وَفِيًّا يَعُودُ مَزَارُهُ فِي كُلِّ عَامِ
تُخَيِّمُ لَا يُحِدُّ حِمَاكَ رُكْنُ فَكُلُّ الْأَرْضِ مَهْدٌ لِلْخِيَامِ
نَسَخْتَ شَعَائِرَ الضُّيْفَانِ لَمَّا قَنَعْتَ مِنَ الضِّيَافَةِ بِالْمَقَامِ
وَرُحْتَ تَسُنُّ لِلْأَجْوَادِ شَرْعًا مِنَ الْإِحْسَانِ عُلُوِّ النَّظَامِ
بِأَنَّ الْجُوعَ حِرْمَانٌ وَزَهْدٌ أَعَزُّ مِنَ الشَّرَابِ أَوْ الطَّعَامِ

وهو يصور الصائمين المترقبين صوت المؤذن ، منتظرين في خشوع وفي رهبة
صوت الأذان :

جَعَلْتَ النَّاسَ فِي وَقْتِ الْغُرُوبِ عَبِيدَ نَدَائِكَ الْعَاتِي الرَّهِيْبِ
 كَمَا ارْتَقَبُوا الْأَذَانَ كَأَنَّ جُرْحًا يُعَذِّبُهُمْ تَلَفَّتَ لِلطَّيِّبِ
 وَأَثْلَعْتَ الرَّقَابُ بِهِمْ فَلَا حُوءًا كُرْكُبَانٍ عَلَى بَلَدٍ غَرِيبِ
 عَتَاةُ الْإِنْسِ أَنْتَ نَسَخْتَ مِنْهُمْ تَذَلُّلَ أَوْجُهُ وَضَنَى جُنُوبِ

وَيَصُورُ الْمَآذِنَ وَنُورَهَا ، وَكَأَنَّهُ وَحَى يَذْكُرُ بِالْهُدَايَةِ وَيَمْلَأُ النُّفُوسَ بِالْإِيمَانِ
 وَيُدْفَعُهَا إِلَى الْخَيْرِ ، وَالْمَحَبَّةِ ، وَالسَّلَامِ :

تَلَفَّتْ الْمَآذِنُ حَالِمَاتٍ كَحُورِيَّاتٍ خُلْدٍ سَافِرَاتِ
 تَضُوعُ مَبَاخِرِ النُّسَاكِ مِنْهَا فَتَحَسَّبُهَا غُصُونًا عَاطِرَاتِ
 تَلَأُلُؤُهَا حَوْلَهَا أَطْوَاقُ نُورٍ مَضِيئَاتٍ بِحُبِّكَ هَائِلَاتِ
 كَأَنَّكَ حَامِلٌ وَحِيًّا إِلَيْهَا وَقَفْنَ بِسَحْرِهِ مُتَلَهِّفَاتِ
 إِذَا صَاحَ الْأَذَانُ بِهَا أَرْنَتْ بِإِلْهَامٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ عَاتِ
 يَذْكُرُ بِالْهُدَايَةِ كُلَّ نَاسٍ - وَيُوقِظُ كُلَّ غَافٍ لِلْحَيَاةِ





الكنافة والقطائف

الكنافة^(١) ، والقطائف^(٢) ، من معالم شهر رمضان المبارك ، يقبل عليها الناس كبيرهم ، وصغيرهم .. غنيهم وفقيرهم ، فلا تكاد تخلو موائد الصائمين منها طول ليالى هذا الشهر الكريم ..

قيل : إن أول من قدمت له من العرب هو معاوية^(٣) بن أبي سفيان زمن

(١ ، ٢) ذكر المادة اللغوية : قال الجوهري في الصحاح ، القطيفة دثار مخمل والجمع قطايف وقطف ومنه القطيفة التى تؤكل . . .

وقال صاحب القاموس : القطيفة دثار مخمل والجمع قطائف و (قطف) قرية فى ناحية حمص ، وأبو قطيفة شاعر والقطايف المأكولة لا تعرفها العرب . وأما الكنافة فلم يتركها أحد من أئمة اللغة ، ولا يوجد فى الألفاظ اللغوية ما يصلح أن يكون مادة لها .

(٣) قال ابن فضل الله فى المسالك ، كان معاوية يجوع فى رمضان جوعاً شديداً ، =

ولايته للشام ، كطعام للسحور لتدراً عنه الجوع الذى كان يحس به .
وقيل : إنها صنعت لسليمان بن عبد الملك .

وقد شغلت (الكنافة والقطائف) الشعراء والأدباء منذ جاءت دولة بنى أمية .
شغلت شاعر العربية الكبير ابن الرومى ، الذى كان يسربها سرور ابن الأحنف
بقرب حبيبته فوز ، وقد كان ابن الرومى نهماً :

قطائفٌ قد حُشِيَتْ باللَّوْزِ والسكر المَآذِيَّ حَشَوُ الْمَوْزِ^(١)
تَسْبَحُ فِي آذَى دُهْنِ الْجَوْزِ سُرْتُ لَمَّا وَقَعْتُ فِي حَوْزِ
سرورَ عَبَّاسٍ بقربِ فَوْزِ

فلما جاءت دولة الفاطميين ، وامتدت ظلالها الوارفة على العرب بالخير ،

= فشكا ذلك إلى محمد بن أثال الطيب ، فأشار عليه باتخاذ الكنافة فكان يأكلها فى السحور ،
فهر أول من اتخذها .

(١) عباس بن الأحنف من شعراء العباسيين الذين قصرُوا شعرهم على محبوبة واحدة هى
(فوز) ويتميز شعره بأنه من نوع السهل الممتنع ، وكل معانيه مبتدعة منها قوله :

وإني وكتاني هواها وقد فشا كذى الجهل تحت الثوب يضرب بالطبل
وقوله :

صرت كأنى ذبالة نصبت تضىء للناس وهى تحترق
وقوله :

لو كنت عاتبة صبرت على النوى صد الملول خلاف صد العاتب
ملحوظة : فى رواية أخرى أن هذه الأبيات لابن يحيى بن أبى منصور المنجم ، وليست
لابن الرومى .

وجعلت من رمضان موسماً كريماً للبذل والعطاء ، اختفى أوكاد ما كان يقوله الشعراء في هجاء رمضان .. بل إن الشعراء أخذوا يتنافسون لا في إظهار مشاعرهم نحو هذا الشهر المبارك ، الذى أظل الإنسانية فى مشارق الأرض ومغاربها بالخيرات .. وإنما تنافسوا وأسرفوا فى الحديث عن مباحج رمضان وخيراته ، التى كان يجود بها الفاطميون تمكيناً لدعوتهم وتحبيباً للناس فى مذهبهم .

تحدثوا ... وأطالوا الحديث فى الكنافة والقطائف وغيرهما من أنواع الحلوى التى ابتدعها الفاطميون ... تحدثوا وأطنبوا فى الحديث عن الفانوس ، كمظهر من مظاهر الحفاوة بـرمضان .. وقد اكتسب هذه العادة من جاء بعدهم فى العصر الأيوبي والعصرين المملوكي والتركي ...

ولم يقف حديث الشعراء عند حد وصف الكنافة وموائدها ، بل تعدى ذلك إلى الحب .. حب الكنافة والهيام بصوانيتها ، وبيض ليلاتها والتغزل فيها ، حتى صار لها من العاشقين من تغنى بحبها ودلالها وصدها .

فهذا شاعر من شعراء الدولة الأيوبية هو أبوالحسين يحيى الجزار ، أحب الكنافة حباً عظيماً ملك عليه بطنه وكل مشاعره وأحاسيسه .

فكما تغنى ابن زيدون بحب ولادة ، وهام جميل بحب بثينة ، وتدله الأحنف فى عشق فوز ، أحب أبوالحسين الكنافة وتغنى بها ..
فالكنافة فتاة أحلامه ، وهى المعشوقة التى تتأبى عليه وترميه بالغدر تارة ، وتحرمه من صوانيتها تارة أخرى .. وهو المعذب الولهان الذى يتعجب كيف تهمة الكنافة بالغدر .. وهو الأمين على العهد ، الحافظ للود :

ومالى أرى وجه الكُنافة مُغَضَّبًا ولولا رِضاها لَمْ أَرِدْ رَمَضَانَهَا
عَجِبْتُ لَهَا فِي هَجْرِهَا كَيْفَ أَظْهَرْتُ عَلَى جَفَاءِ صَدِّ عَنِّي جِفَانَهَا
تُرَى اتِهَمْتَنِي بِالْقَطَائِفِ فَاعْتَدْتُ تَصُدُّ اعْتِقَادًا أَنَّ قَلْبِي خَانَهَا
وَمُذْ قَاطَعْتَنِي مَا سَمِعْتُ كَلَامَهَا لِأَنَّ لِسَانِي لَمْ يُخَاطِبْ لِسَانَهَا

وهو يرى فى الكنافة والقطائف لذة أعذب وأحلى من لثم المراشف ، وشم
المعاطف :

تَاللَّهِ مَا لَشُمِّ الْمَرَاشِفِ كَلَا وَلَا شَمُّ الْمَعَاطِفِ
بِالذِّ وَقَعًا فِي حَشَا يَ مِنْ الْكُنافَةِ وَالْقَطَائِفِ

فلما ذهبت الدولة الأيوبية التى كانت تحب الأدب ، وتجزى عليه وتفيض
بعطفها على الشعراء ، وجاءت دولة المماليك البحرية من الأعاجم الذين لم يرحبوا
بالشعر والشعراء لأنهم لم يفهموا العربية ولم يتحدثوا بها ، لم يجد أبو الحسين بغيته فى
الكنافة ، فراح يبكى ليلائها الغر الحسان :

سَقَى اللَّهُ أَكْنَافَ الْكُنافَةِ بِالْقَطْرِ وَجَادَ عَلَيْهَا سَكَّرًا دَائِمَ الدَّرِّ
وَتَبًّا لَأَيَّامِ الْمُخَلَّلِ إِنَّهَا تَمُرُّ بِلا نَفْعٍ وَتُحْسَبُ مِنْ عُمُرِي
وَلِي زَوْجَةٌ إِنْ تَشْتَرِي قَاهِرِيَّةً^(١) أَقُولُ لَهَا مَا الْقَاهِرِيَّةُ مِنْ مِصْرِ

وراح يرسل قصيده فى حسرة ، وحزن وألم ، على أنه عاد لا يستمتع بها كما
كان من قبل :

(١) القاهرية نوع من الحلوى قريب الشبه من الكنافة .

مَا رَأَتْ عَيْنِي الْكُنَافَةَ إِلَّا عِنْدَ بَيْعِهَا عَلَى الدُّكَانِ

وَإِذْ ضَاقَتْ بِالْحُسَيْنِ الدُّنْيَا ذُرْعًا ، وَرَأَى أَبْوَابَ الْحُكَامِ مَوْصِدَةً دُونَهُ ، أَرْسَلَ
قَصِيدَةً لَصَدِيقِهِ (شَرْفُ الدِّينِ) الَّذِي مَازَالَ عَلَى عَهْدِ الْوَفَاءِ وَالْجُودِ قَالَ :

أَيَا شَرَفَ الدِّينِ الَّذِي فَيْضُ جُودِهِ
بِرَاحَتِهِ قَدْ أَخْجَلَ الْعَيْثَ وَالْبَحْرَا
لَئِنْ أَمَحَلَّتْ أَرْضُ الْكُنَافَةِ إِنِّي
لَأَرْجُو لَهَا مِنْ سَحْبِ رَاحَتِكَ الْقَطْرَا (١)
فَعَجَّلُ بِهَا جُودًا فَمَا لِي حَاجَةً
سِوَاهَا نَبَاتًا يُثْمِرُ الْحَمْدَ وَالشُّكْرَا

وَلَمْ يَكُنْ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ يَحْيَى الْجَزَارِيُّ الَّذِي أَحَبَّ الْكُنَافَةَ وَحْدَهُ ، فَلَهَا عَشَاقٌ
وَعَشَاقٌ .

أَحَبَّ الْكُنَافَةَ ابْنُ نُبَاتَةَ الشَّاعِرِ الْمِصْرِيِّ الْمَعْرُوفِ .

قَالَ مَتَغَزَلًا فِي الْكُنَافَةِ :

يَا سَيِّدِي جَاءَتْكَ فِي صَدْرِهَا كَأَنَّهَا رُوحِي فِي صَدْرِي
كُنَافَةٌ بِالْحُلِيِّ مَحْشُوءَةٌ كَمَا تَقُولُ الْعَسَلُ الْمِصْرِي
قَدْ خَنَقْتَنِي عَبْرَتِي كَأَسْمِهَا وَبَادَرْتُ مِنْ خَلْفِهَا تَجَرِي

(١) الْقَطَرُ : الْمَطَرُ وَهُوَ يُرِيدُ بِهِ الْعَسَلُ الَّذِي يُوَضَعُ عَلَى الْكُنَافَةِ أَوْ السَّكَّرُ الْمَعْقُودُ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ لِي شَاكِلٌ بِهِ مَا قَالَهُ مِنْ أَرْضِ الْكُنَافَةِ .

ما خَرَجَ الفُسْتُقُ من قِشْرِهِ فيها وقد أَخْرَجْتُ من قِشْرِي
وَنَشْرُهَا من طَيِّبِهَا لَمْ يَفْحُ فَأَعْجَبُ لسوءِ الطِّيِّ والنَّشْرِ^(١)
فَهَاكَ حُلُوًا قَدْ تَكَفَّلْتَهُ وَلَا تَسَلْ عَنِّي وَعَنْ صَبْرِي

وقال وقد أرسل إليه صحن كنافه . وتذكر بهذا الصحن ابنته التي تعيش في دمشق بعيداً عنه .

ذَكَرْتُكَ وَالْأَسْمَاءُ تُذَكِّرُ بِالْكُنَى فَلِلَّهِ يَا أَسْمَا الكُنفَةُ والذِّكْرُ
يَذَكِّرُ صَحْنَ الْوَجْهِ صَحْنَ كُنفَةٍ هما الحُلُوُّ مِمَّا تَشْهَدُ الْعَيْنُ وَالْفِكْرُ
لَيْالِي فِطْرِ الصَّوْمِ إِذْ كُلُّ لَيْلَةٍ بِإِحْسَانِ نُورِ الدِّينِ عِيدٌ : هُوَ الْفِطْرُ
وإِنْعَامُهُ عِنْدِي وَشُكْرِي عِنْدَهُ وَلَكِنْ مَتَى يُوفَى بِإِنْعَامِهِ الشُّكْرُ
إِذَا كَانَ ذَا جُودٍ وَشَعْرٍ يُجِيبُنِي وَأَحْسَنُ مِنْ شِعْرِي لَهُ ذَلِكَ الشُّعْرُ
وَلَمْ أَنْسَ لَيَالِي الْكُنفَةِ قَطْرَهَا هُوَ الْحُلُوُّ إِلَّا أَنَّهُ السُّحْبُ الْغُرُّ
يَجُودُ عَلَى ضَعْفِي فَأَهْتَرُ فَرِحَةً (كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَلَهُ الْقَطْرُ)^(٢)

(١) النشر : الرائحة الذكية ، والنشر الذي هو ضد الطي في اللفظ تورية .

(٢) من شعر أبي صخر الهذلي في قصيدته التي أولها :

لِللَّيْلِ بَذَاتُ الْجَيْشِ دَارَ عَرْفَتِهَا وَأُخْرَى بَذَاتُ الْبَيْنِ آيَاتُهَا صَفَرُ
كَأَنَّهَا مَلَأْنَ لَمْ يَسْتَغْفِرَا وَقَدْ مَرَّ بِالْدَارَيْنِ مِنْ بَعْدِنَا عَصَرُ
وَالْبَيْتُ الْمَذْكُورُ شَطْرَهُ الْأَوَّلُ هُوَ :

وإني لتعروني لذكرك هِزَّة كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَلَهُ الْقَطْرُ

ومن رقيق قوله في القطائف :

وقطائفٍ رقتْ جُسُومًا مِثْلَمَا غُلِظَتْ قُلُوبًا فَهِيَ لِي أَحْسَابُ
تَحُلُو فَمَا تَعْلُو وَيَشْهَدُ قَطْرُهَا الـ فَيَأْضُرُّ أَنَّ نَدَى عَلَى حِسَابُ

أو قوله :

أَقُولُ وَقَدْ جَاءَ الْعَلَامُ بِصَحْنِهِ عُقَيْبَ طَعَامِ الْفِطْرِ يَا غَايَةَ الْمُتَى
بِحَقِّكَ قُلْ لِي جَاءَ صَحْنُ قَطَائِفٍ وَبُحْ بِاسْمِ مَنْ أَهْوَى وَدَعْنِي مِنَ الْكُنَى^(١)

وقال :

رَعَى اللَّهُ نِعْمَكَ الَّتِي مِنْ أَقْلَاهَا قَطَائِفُ مِنْ قَطْرِ النَّبَاتِ لَهَا قَطْرُ
أَمْدٌ لَهَا كَفَى فَاهْتَرَّ فَرَحَةً (كما انتفض العصفور بلله القطر)

وشكا إلى قاضي القضاة مستهدياً القطر :

لِجُودِ قَاضِي الْقُضَاةِ أَشْكُو عَجْزِي عَنْ الْحُلُوِّ فِي صِيَامِي
وَالْقَطْرُ أَرْجُو وَمَا عَجِيبُ لِلْقَطْرِ يُرْجَى مِنَ الْعَمَامِ

وهذا هو الإمام البوصيري صاحب القصيدة المعروفة بالبردة والتي نظم على غرارها أمير الشعر شوقي قصيدته المسماة « نهج البردة » والتي مطلعها^(٢) .

(١) الكنى يشير بها إلى معنيين : الكنى جمع كنية والكنى بمعنى الكنافة ففيها تورية .

(٢) مطلع قصيدة البردة للبوصيري قوله :

أمن تذكر جيران بدى سلم مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

رَيْمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعِلْمِ
أَحَلَّ سَفْكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ

هذا الإمام (البوصيرى) يعتب على قاض فى أيامه اسمه (عماد الدين) أنه لم
يقدم له كفاة رمضان قال :

ما أَكَلْنَا فى ذَا الزَّمان كُفَّاهُ آوِ .. وابعدها علىَّ مَسَافَهُ
قالَ قومٌ إِنَّ العِمَادَ كَرِيمٌ قلتُ هذا عندى حديثُ خُرَّافِهِ
أنا ضيفٌ له وقد مِتُّ جُوعًا ليت شعرى لِمَ لا تُعَدُّ الضُّيَافَةُ
وهو إن يُطعم الطَّعامَ فما يُطعم إلا لسمعةٍ أو مَخَافَةِ

ويقول أبو الهلال العسكرى فى القطائف :

كَثِيفَةُ الحَشْوِ وَلَكِنَّهَا رَقِيقَةُ الجِلْدِ هَوَائِيَّةُ
رُشَّتْ بماءِ الوردِ أعطافُها مَنشُورَةَ الطَّيِّ وَمَطْويَّةُ
كَأَنَّهَا من طيبِ أنفاسِها قد سُرِقَتْ من نَشْرِ مَآوِيَّةِ (١)
جاءتُ من السُّكْرِ فضيَّةُ وهى من الأدهانِ تَبْرِئُهُ
قد وهبَ الليلُ لها بُرْدَةً ووهبَ الخصبُ لها زِيَّةُ

(١) مآوية من أشراف الحيرة ، تزوجها حاتم الطائى بعد قصة يرويها صاحب كتاب الأغالى
وكانت تشتهر بالعطور التى تتعطر بها ، وكانت تلوم حاتما لإسرافه فى الجود فيقول :

أماوى إن المال غاد ورائح ويبنى من المال الأحاديث والذكر

وقال السراج الوراق في القطائف :

قَطَائِفُكَ الَّتِي رَقَّتْ جُسُومًا لِأَضِغِهَا كَمَا كَثَفَتْ قُلُوبًا
كَغَيْمٍ رَقَّ لَكِنْ فِيهِ قَطَرٌ غَدَا الْمَرْعَى الْجَدِيبُ بِهِ خَصِيْبًا

وقال المرصفي :

وَحَقَّقَكَ مَا أَوْلَيْتَنِي مِنْ قَطَائِفٍ أَلَذٍّ وَأَحْلَى مِنْ وَصَالِ الْقَطَائِفِ^(١)
وَقَدْ ضُمِّنْتَ مِثْلَ الْعَتَابِ حَلَاوَةً أَلَمْ تَرَهَا مَلْفُوفَةً كَالصُّحَائِفِ

وقال صلاح الدين الصفدي مبالغاً في استعمال التورية والجناس والمطابقة :

رعى الله نِعْمَكَ الَّتِي مِنْ أَقْلَهَا قَطَائِفٌ مِنْ قَطَرِ النَّبَاتِ لَهَا قَطَرٌ
أَمَدٌ لَهَا كَفَى فَاهْتَزَ فَرَحُهُ كَمَا انْتَفَضَ الْعَصْفُورُ بِلِلِّهِ الْقَطَرُ

ولصلاح الصفدي أيضاً :

أَتَانِي صَحْنٌ مِنْ قَطَائِفِكَ الَّتِي غَدَتُ وَهِيَ رَوْضٌ قَدْ تَنَبَّتَ بِالْقَطَرِ
وَلَا غَرَوَ أَنْ صَدَّقْتُ حُلُوَ حَدِيثِهَا وَسُكَّرَهَا يَرْوِيهِ لِي عَنْ أَبِي ذَرٍّ^(٢)

وقال :

أَلَذُّ شَيْءٍ عَلَى الصِّيَامِ مِنْ الْحَلَاوَاتِ فِي الطَّعَامِ
قَطَائِفٌ فُضِّضَتْ فَتَحَكَّى فَرَائِدَ الدَّرِّ فِي النَّظَامِ

(١) القطائف : اللاتي يمشين الهوينا وفي البيت جناس تام .

(٢) المراد بأبي ذر الذي يذر عليها السكر ، وفيه تورية بأبي ذر الصحابي المعروف .

مُنَوَّعَاتٌ عَلَى جُنُوبٍ فِي الْجَامِ كَالصَّبِيَةِ النَّيَامِ

وقال ابن هبة المصري في القطائف المقلية :

وَأَفَى الصَّبِيَامُ فَوَاقِثُنَا قَطَائِفُهُ
كَمَا تَسَامَتَتْ^(١) الْكُثْبَانُ مِنْ كَثَبِ
أَهْلَا بِشَهْرٍ غَدَا مِنْهُ لَنَا خَلْفٌ
أَكَلُ الْقَطَائِفِ مِنْ شُرْبِ ابْنَةِ الْعَنْبِ
مَنْ كُلُّ مَلْفُوفَةٍ بِيضٍ إِلَى أُخْرٍ
حُمُرٍ مِنَ الْقَلَى تَشْفِي جَنَّةَ السَّغْبِ^(٢)

وكتب برهان الدين القيراطي إلى القاضي نور الدين بن حجر :

مَوْلَايَ ، نَوْرُ الدِّينِ ضَيْفُكَ لَمْ يَزَلْ
يَرَوِي مَكَارِمَكَ الصَّحِيحَةَ عَنْ عَطَا^(٣)
صَدَقْتَ قَطَائِفُكَ الْكِبَارُ حَلَاوَةً
بِفَمِي وَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ صَدَقَ (الْقَطَا)^(٤)

(١) تسامتت : من المسامطة وهي المقابلة ، أو ساوى بعضها بعضاً في الحجم والارتفاع .

(٢) السنب : الجوع :

(٣) عطا : عطاء . أحد مشاهير رجال الحديث ، وفي اللفظ تورية عن عطا الاسم وعطاء

المصدر وقد قصر للضرورة .

(٤) القطا : نوع من الطيور التي تعيش في البادية ، وقد ورد في شعر الجاهليين والأمويين

ذكره كثير في ذلك .

وقال سيف الدين بن قزل المنشد :

وَقَطَائِفٍ مِثْلَ الْبُذُو رَأَيْتُ لَنَا مِنْ غَيْرِ وَعَدُ
قَدْ سُقِّيتُ قَطْرُ النَّبَا تِ وَطُيْتُ بِالمَاءِ وَرَدُ
فَحَسِبْتُهَا فِي صَحْنِهَا لَمَّا بَدَتْ أَقْرَاصَ شُهْدِ

وقال كشاجم :

عِنْدِي لِأَضْيَافِي إِذَا اشْتَدَّ السَّغَبُ قَطَائِفٌ مِثْلُ قَرَاتِيسِ الْكُتُبِ
كَأَنَّهُ - إِذَا تَبَدَّى مِنْ كُتُبٍ كَوَائِرُ^(١) النَّحْلِ بَيَاضًا وَثُقُبُ
قَدْ مَجَّ دَهْنَ اللُّوزِ مِمَّا قَدْ شَرِبُ وَابْتَلَّ مِمَّا عَامَ فِيهِ وَرَسَبُ
وَجَاءَ مَاءُ الْوَرْدِ فِيهِ وَذَهَبُ وَغَابَ فِي السُّكَّرِ عَنَا وَاحْتَجَبُ
فَهُوَ عَلَيْهِ حَبُّ فَوْقَ حَبِّ إِذَا رَأَى وَالَهُ الْقَلْبَ طَرِبُ
أَطْرَبُ مِنْهُ إِنْ أَرَاهُ يُنْتَهَبُ كُلُّ أَمْرٍ لَدَنَّهُ فَمَا يُحِبُّ

وقال زين القضاة السكندري :

لِلَّهِ دَرٌّ قَطَائِفٍ مَحْشُورَةٍ مِنْ فُسْتَقٍ دَعَتِ النَّوَظِرَ وَالِيَدُ
شَبَّهْتُهَا لَمَّا بَدَتْ فِي صَحْنِهَا بِحِقَاقٍ عَاجٍ قَدْ حُشِينَ زَبَرْجَدُ

=أسرب القطا هل من يعير جناحه
وقال شاعر يهجو قبيلة تميم :

تميم بطرق اللوم أهدى من القطا

(١) كوائير النحل : بيوته .

وقال أبو علي الحسين بن محمد التونسي :

وَقَطَائِفٍ مَحْشُوءَةٍ بِلَطَائِفٍ طَافَتْ بِنَا أَكْرَمَ بِهَا مِنْ طَائِفٍ
شَبَّهَتْهَا صُفَّتْ عَلَى أَطْبَاقِهَا بِوَصَائِفٍ قَامَتْ بِجَنْبِ وَصَائِفٍ

ومن الشعراء من كان يفضل القطائف على الكنافة ، فقد خالف ابن نباتة
وسعد الدين عربي الحسين بن الجزار وفضلا القطائف على الكنافة في قولها :

أَقُولُ - وَقَدْ جَاءَ الْغَلَامُ بِصَحْنِهِ عَقِيبَ طَعَامِ الْفِطْرِ - يَا غَايَةَ الْمُنَى
بِعَيْشِكَ قُلْ لِي : جَاءَ صَحْنُ قَطَائِفٍ وَصَرَّحَ بِمَنْ أَهْوَى وَدَعْنِي مِنَ الْكُنَى

وقال سعد الدين :

قَالَ الْقَطَائِفُ لِلْكَنَافَةِ مَا بَالِي أَرَأَيْكَ رَقِيقَةً الْجَسَدِ
أَنَا بِالْقُلُوبِ حَلَاوَتِي حُشِيَتْ فَتَقَطَّعِي مِنْ كَثْرَةِ الْحَسَدِ

وإن كان عاد فقال :

وَقَطَائِفٍ مَقْرُونَةٍ بِكَنَافَةٍ مِنْ فَوْقَهُنَّ السَّكَّرُ الْمَذْرُورُ
هَاتِيكَ تَطْرِبُنِي بِنَظْمٍ رَائِقٍ وَيُرَوِّقُنِي مِنْ هَذِهِ الْمَشُورِ

وقال القاضي محيي الدين في قطائف رديئة الصنع :

هَذِي قَطَائِفُكَ الَّتِي لَا تُشْتَهَى نَقْلًا وَعَقْلًا
حُشِيَتْ بِبَرْدٍ يَابِسٍ فَلَأَجَلِ ذَاكَ الْحَشْوِ تُقْلَى (١)

(١) تقلى من القلى . . وتقلى من الكراهية .

وقال صلاح الصفدى إلى الفاضل زين الدين أبى كثير زيد بن عبد الرحمن
المغربى ملغزا فى القطائف :

« يا مولانا أثقلَ اللهُ بفواضلكَ الكوامل ، وأجملَ بفضائلِك الأوايلَ مِن
الفضائلِ . إنَّ أمكنكَ أنْ تُلَمَحَ هذا اللغزَ اللطيفَ ، وتُعْطِيَهُ حظًا من سِيَالِ فِكْرِكَ
الشَّريفِ ، تقلد المملوكَ بدمائة الفكرِ العميمِ ، وتحلِّ بورود لفظهِ كما يتحلَّى بوجود
شخصهِ بين يديَّ سيدِ كريم :

ما اسمُ يعتنى الصائمون غالبًا بتحصيلهِ ، وتتنافس الأكابر فى جمليته
وتفصيلهِ ، خُماسى الحروفِ فى الترصيفِ والترتيبِ ، مسطح الشكالة فى البساطةِ
كرسى عند التركيبِ ، إنْ حُذِفَ خُمسَاه رأيتُهُ طائرًا وسيِّمًا ، طالما قصَّ الأثرُ
فاهتدى به وغالبَ فى طرق اللؤمِ تميمًا ، وإنْ اختلس فى أوله كان فى النفورِ
الحسنية كالبال فى الليلِ البهيمِ ، وفى سورةِ القلمِ نارًا أحرقت الجنة التى أصبحتُ
كالصَّريم (١) .

عزمت على إهدائه غير مرة	إلى بابك العالى فأمسكت عن قصدى
فقد قيل عادات البحائر أنهم	بإهدائه أولى فما جُزْتُ عن حدِّى
فأوضحه لى قولاً وإن شئت صورةً	وإن شئتَ فارسمه فلانى له أبدى

• (١) إذا حذفنا خمس القطائف يكون ما يبقى منها اسما لطائر معروف أشار إليه القاضى بقوله
« غالب فى طرق اللؤم تميما » ، وهو يريد قول الشاعر يهجو تميما :

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا	وإن سلكت سبل المكارم رضيت
ولد أن برغوئا على ظهر قملة	رأته تميم يوم زحف تولت

قال صلاح الدين الصفدى فكتبت له الجواب وجهزت له منه صحفًا :

أمولاي زَيْنُ الدين مَبْنِيَّ مُهَنْدِي نِدَاهُ وَإِنْ كَانَ الصَّلَاحُ عَدَا يَهْدِي
بَعَثْتُ بَلْغِزٍ قَدْ حَلَا مِنْكَ لَفْظُهُ فَأَجْمَلُ ذِكْرِ الْفَضْلِ فَضْلًا عَنِ الشَّهْدِ
فَسَامِعٌ فَقَدْ أَوْضَحْتَهُ لَكَ صُورَةً عَلَى أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ شَرْحِ مَا عِنْدِي

يامولاي لُغْزُكَ هَذَا بَدِيعُ الْمَعْنَى ، بَعِيدُ الْمَبْنَى ، يَتَرَشَّفُهُ السَّمْعُ سِلَافَةً ، وَيَتَلَقَّفُهُ
الْبَصَرُ وَرَدَّ اخْتِصَاصُ أَرَادَ اقْتِطَافَهُ ، فَأَغْرَبْتُ فِي قَصْدِهِ ، وَأَحْكَمْتُ عَقْدَ شَدِّهِ
دَلَّنِي عَلَى مَعْنَاهُ ، حُسْنُ مَبْنَاهُ ، وَقَرَّبَ التَّبْيَانَ مِنْ مَعْنَاهُ ، فَلَكَ الْفَضْلُ فِي حَلِّهِ ،
وَسَحٌّ وَابِلِهِ وَطَلُّهُ .

وَمِنْ غَرِيبِ خَوَاصِهِ أَنَّهُ أَخَفَّ مِنَ الْحَلَاوَةِ وَاللَّبَنِ خَطَا ، وَمِنْ صَحَوْنِ مَلَانِهِ
أَخْجَاسُهُ عَادَ قَطَا ، قَدْ رَاقَتْ الْعُيُونُ مَلَاحَتَهُ ، وَحُسِّيَّتْ بِالْقُلُوبِ حِلَاوَتُهُ ، مَحْتَصِ
بِشَهْرِ رَمَضَانَ ، لِأَنَّ فِي قَلْبِهِ حَلَاوَةً كَحَلَاوَةِ الْإِيمَانِ ، بَعْضُهُ يُقَلِّى وَهُوَ مَحْبُوبٌ ،
وَأَخْرَجَتْهُ الْقَطْرُ ، وَأَوَّلُهُ فَوْقَ الْحَجَرِ الْمَتَّبُوبِ ، يَرُوقُكَ إِذَا نَشَرْتَ عِقْدَهُ ، وَفَضَّلْتَ
زَوْجَتَهُ وَفَرَّدَهُ وَأَشْبَهُ شَيْءٍ بِالْكَوَاكِبِ إِذَا اشْتَمَلَتْ بِالْمَنَاشِفِ الْمَحْمَلِ ٣ وَأَحْسَنُ مَا تُرَى
تَرْبًا إِذَا اجْتَمَعَ شَمْلُهَا ، وَأَلِيقُ مَا يَنْشُدُ إِذَا جَفَّ ثَرَاها ، وَانْفَصَمَتْ عُرَاها :
أَلَا فَاسْلُمِي بِأَدَارِ مِيٍّ عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجَرَعَائِكَ الْقَطَرِ^(١)

وكتب برهان الدين القيراطي إلى الشيخ تاج الدين السبكي لغزين ، أحدهما في
الكنافة والآخر في القطائف :

(١) مطلع قصيدة ذى الرمة صاحب مئ وهو من كبار شعراء العصر الأموي ، وهو ممن
أُغْرِمَ بوصف الصحراء ومظاهرها .

لَكَ الْعُلَا سَلَمَتْ حَقًّا بِإِذْعَانٍ
قَاضِي الْقُضَاةِ ، خَطِيبَ الْمُسْلِمِينَ وَمَنْ
أُمَّةُ الْأُمَّةِ الْأَعْلَامُ قَدْ نَشَرْتُ
هَذَانِ لُغْزَانِ قَدْ حَلًّا بِبَابِكَ يَا
اسْمَانِ كُلُّ خِمَاسِيٍّ قَدْ اكْتُبْتُ
مَثَانِيًّا فِي الْوَرَى شِكْلًا إِذَا نُظِرَا
يُرَى بِكَانُونِ إِصْلَاحٍ لِسَانِهِمَا
لَكِنْ إِلَى الضُّيْقِ مَنْسُوبٌ مَقْرَهُمَا
فِي الْبَلِّ يَكْفِي وَإِنْ فَكَّشْتَ عَنْهُ تَجِدُ
نَبْتُ أَرَى النَّارَ قَدْ أَبْدَتْ لَنَا وَرَقًا
كُنَافَةً هُوَ لَكِنْ لَا يُشَمُّ وَلَا
ذُو رَقَةٍ فَإِذَا صَحَفْتُهُ ظَهَرَتْ

فَاحْلُلْ مَكَانَكَ فِي الْعَلِيَا بِإِمْكَانِ
لَيْتِيهِ فِي الْمَعَالَى خَيْرَ أَرْكَانِ
أَعْلَامَ عَلَيْكَ لِلْقَاصِي وَلِلدَانِ
قَاضِي الْبَرِيَةِ مَا هَذَانِ خَصْمَانِ
حُرُوفُهُ وَهُمَا لَا شَكَّ خِذْنَانِ^(١)
وَصُورَةً وَهُمَا فِي الْأَصْلِ مِثْلَانِ^(٢)
كَمَا لِأَصْلِهَا نَفْعٌ بِنَيْسَانِ
إِنْ أَحْضَرَا فِي مَكَانٍ بَيْنَ إِخْوَانِ
فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ مُلْقَى خُمُسُهُ الثَّانِي^(٣)
فَاعْجَبْ لَهُ وَرَقًا يَنْمُو بِنِيرَانِ
يُضَافُ يَوْمًا إِلَى أَزْهَارِ بُسْتَانِ
كُنَافَةً مِنْهُ فَاسْتَرَهُ بِكَتْمَانِ^(٤)

« هذه القصيدة كما يبدو منها ركيكة العبارة ، سيئة النظم ، وقد أوردناها لتدل على مظهرين من مظاهر الحياة في ذلك العصر ، ولع الناس بالبديع والإلغاز وخلو الحياة من موضوع عظيم يتحدث فيه الناس ويعبر عنه الشعراء .

(١) الكنافة والقطايف فكل منهما خماسي .

(٢) مختلفان في الشكل متفقان في الطعم .

(٣) الخمس الثاني هو (فه) وهو مأخوذ من (دفعه) والتكلف في استخراج اللغز واضح .

(٤) يريد أن القطايف لو صحفتها أو لو غيرت وبدلت في حروفها لصارت كنافة ، وهو

معنى كما يبدو تافه وفيه تكلف ظاهر .

وكم له من بُدورٍ كُمِّلٍ طَلَعَتْ
فَقَدَّهَا خَيْطُ فَجَرٍ أَيْضًا عَجَلًا
وَالْأَسْمُ الْآخِرُ ذَاتُ ذَاتِ أَلْسِنَةٍ
يَا حُسْنَهَا أَلْسِنًا أَضَحَتْ حَلَاوُثُهَا
تَطْوِي عَلَى الْحَشْوِ أَحْشَاءَ وَلَيْسَ لَهَا
بِالطِّيِّ وَالنَّشْرِ فِي حَالٍ قَدْ انْضَحَتْ
كَمْ سَكَّرَتْ فَفَتَحْنَا لِلدَّخُولِ لَهَا
حَسَنَاءُ أَجْمَعَ أَهْلُ الْحَلِّ أَجْمَعِهِمْ
وَصَالُهَا حَلٌّ بِالْإِجَاعِ فِي زَمَنِ
تُقَلِّي وَلَكِنْ لَهَا قَلْبٌ تُقَرِّبُهُ
مَامِلٍ رَاوٍ مِنَ الْقَالِي أَمَالِيَهُ
فِي الْجَوْفِ مِنْهَا قُلُوبٌ حَرَّةٌ جَمَعَتْ

فِي سَائِرِ قَطُّ لَمْ تُمَحَقِّقْ بِتُقْصَانِ
بِالْبَرْقِ يَسْطُو عَلَيْهَا سَطْوَةُ الْجَانِي (١)
لَمْ يَبْدُ قَطُّ لَنَا بِالنُّطْقِ حَرْفَانِ
يَحْلُو الْمَدِيحُ لَهَا مِنْ كُلِّ إِنْسَانِ
فِي الْأَشْعَرِيَّةِ مِنْ دَامٍ بِنُكْرَانِ (٢)
وَالطِّيُّ وَالنَّشْرُ فِيمَا قَبْلَ ضِدَانِ
أَبْوَابِهَا فَتَلَقَّيْنَا بِإِحْسَانِ
وَالْعَقْدِ مَنَا عَلَيْهَا بَعْدَ عَرْفَانِ
فِيهِ الْوَصَالُ حَرَامٌ عِنْدَ أَعْيَانِ (٣)
فَمَنْ قَلَاها مِنَ الْأَقْوَامِ عِيَانِ
عَنْهَا وَمَا خَاطِرُ الْقَالِي لَهَا شَانِي (٤)
وَلَا يَكُونُ بِجَوْفِ الشَّخْصِ قَلْبَانِ (٥)

(١) يريد أن القطايف بدور قد قسمها البرق أهلة .

(٢) الأشعرية طائفة من الصوفية ممن يذهبون مذهب شيخهم الشعراني في الاعتقاد الراسخ بأولياء الله وتقديسهم ، حتى يصلوا بهم إلى مراتب الأنبياء ، ولكتب الشعراني عندهم على ما بها من أوهام وأباطيل قداسة واحترام لا حد لها .

(٣) يريد بالوصال الحرام صيام الوصال ، وهو مما أثر عن النبي ﷺ ولم يبح لأُمَّته وهو صيام يومين متواصلين بلا طعام ولا شراب فيها .

(٤) أبو علي القالي صاحب كتاب الأمل في الأدب ، وهو لشهرته غنى عن التعريف وفي البيت تورية واضحة .

(٥) يشير إلى الآية الكريمة (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) .

كم ظلّ يطرَحُها مَنْ ليس ذا سَرَفٍ جَهْرًا ويوصف معُ هذا بإتقانٍ

فأجابه القاضي تاج الدين السبكي

وقال ظافر الحداد :

جام حوى في الظرفِ كل باب	مستملحٍ منه ومُسْتَطَابٍ
فالحسن فيه واضحُ الأسبابِ	مُنْقَطِعُ الأشكال والأضراب ^(١)
قَطَائِفٌ لَوَاطِفٌ رَوَّابِي	لَمْ تُحْشِ بِلِ رُصَّتْ بِلَا أَصْحَابِ
في المسكِ والفُسْتِقِ والجِلَابِ	كَأَنَّهَا أَلْسِنَةُ الْأَحْبَابِ
في الشُّكْلِ والنَّكْهَةِ والرُّضَابِ	مَلَمَسُهَا كَوَجْنَةِ الْكِعَابِ
فطعمُها كُلِّدَةُ الْعِتَابِ	من بَعْدِ صَدِّ طَالٍ وَاجْتِنَابِ
تَنْزُلُ فِي الْحَلْقِ بِلَا حِجَابِ	وهي طعام وهي كالشَّرَابِ

وقد جمع الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المولود ٨٤٩ هـ في كتاب أسماه [منهل اللطائف في الكنافة والقطائف] . كثيرًا مما قاله الشعراء في باب الكنافة والقطائف .

وقد ظل الناس على حبهم لها إلى اليوم ، فها أهم ما يقدم للصائمين في موائد رمضان المبارك .

حب توارثه الأبناء عن الآباء .

هَاتِ الْقَطَائِفَ لِي هُنَا فَالصَوْمُ حَبِّبَهَا لَنَا

(١) الأضراب جمع ضرب وهو المثل والشبيه .

قد كَانَ يَأْكُلُهَا أَبِي وَأَخِي وَكَرِهْتُهَا أَنَا
لَكِنِّي مُدُّ ذُقْتُهَا ذُقْتُ السَّعَادَةَ وَالْمُنَى

وهناك أنواع كثيرة من الحلوى ، تعرفها موائد رمضان ولكن ليس لها شهرة
الكثافة والقطائف منها (اللوزينج) و (الزلاية) و (المشبك) و (الفالودج)
و (أصابع زينب) و (الخبيصة) .

واللوزينج : نوع من الحلواء يصنع من نوع من الخبز ، ومحشونه بالجوز كما يسقى
بدهن اللوز .

قال شاعر العربية الأكبر ابن الرومي وكان شرها يحب الأكل يصف
اللوزينج :

لا يَخْطِئُنِي مِنْكَ لَوْزِينَجٌ	إِذَا بَدَأَ أَعْجَبَ أَوْعَجِبَا
لَوْ شَاءَ أَنْ يَذْهَبَ فِي صَخْرَةٍ	لَسَهَّلَ الطَّيِّبُ لَهُ مَذْهَبَا
لَمْ تَغْلُقْ الشَّهْوَةَ أَبْوَابَهَا	إِلَّا أَبَتْ زَلْفَاهُ أَنْ يَحْجِبَا
يَدُورُ بِالنَّفْحَةِ فِي جَامِهِ	دُورًا بَرَى الدَّهْنَ لَهُ لَوْلَبَا
عَاوَنَ فِيهِ مَنْظَرُ شَجَرًا	مُسْتَحْسِنٌ سَاعِدٌ مُسْتَعْذَبَا
مُسْتَكْشَفُ الْحَشْرِ وَلَكِنَّهُ	أَرْقَ جَلْدًا مِنْ نَسِيمِ الصَّبَا
كَأَنَّمَا قَدَّتْ جَلَابِيبُهُ	مِنْ نَقْطَةِ الْقَطْرِ إِذَا حَبِيبَا
يَكَادُ مِنْ رِقَّةٍ خَرَّ شَانُهُ	شَارَكَ فِي الْأَجْنَحَةِ الْجَنْدَبَا
لَوْ أَنَّ صَيْرَ مِنْ خَبْزِهِ	ثَغَرَ لَكَانَ الْوَاضِحَ الْأَشْنَبَا
مِنْ كُلِّ بَيْضَاءٍ يَوَدُّ الْفَتَى	أَنْ يَجْعَلَ الْكَفَّ لَهَا مَرْكَبَا

مَدْهُونَةُ	زرقاء	مدقوقة	شهباء	تحكى	الأرق	الأشهباء
قوة	عين	وفهم	حسنت	وطيبت	حتى	صَبَاً من صَبَاً
ديف	له	اللوز	فما	مرّت	على	الذائق
وانتقد	السُّكَّر	نُقْصَادَه	وشاوروا	في	نقدِه	المذهَّبَا
فلا -	إذا	العين	رأته	-	نبت	

وقال يصف (الزلاية) :

ومُسْتَقَرٌّ	على	كرسيه	تَعِبٌ	روحي	الفداء	له	من	مَنْصَبٍ	تَعِبِ
رأيتَه	سَحَرَا	يَقْلِي	زلايةً	في	رَقَةٍ	القَشْرِ	والتجويف	كالقصبِ	
يلقى	العجين	لجيتنا	من	أَنَامِلِه	فيستحيل	شَبَايِكَا	من	الذَّهَبِ	

وقال شاعر في الفالودج المعقود :

فالودجُ	يَمْنَعُ	من	نيلِه	ما فيه	مِنْ	عقد	وإنضاجِ
يسبَحُ	فِي	لُجَّةٍ	ياقوته	للوز	حيثان	من	العاجِ
كَأَنَّمَا	أَبْرَزَ	من	جَارِمِه	ثوبٌ	مِنْ	اللاذِ	بدياجِ

ويصف أبو طالب المأموني الخبيصة فيقول :

خبيصة	في	الجام	قد	قُدِّمَتْ	مدفونةً	في	اللوزِ	والسكر
يَأْكُلُ	من	يَأْكُلُهَا	خمسةً	بكفه	فيها	وَلَمْ	يَشْعُرِ	

ومن طريف ما يروى أن المصريين تقدموا إلى المحتسب عام ٩١٧ هجرية بشكوى منظومة يتظلمون فيها من ارتفاع أثمان الحلوى .

وقد جاءت مهلهلة المبني والمعنى يقولون فيها :

لقد جادَ بالبركات فضل زماننا	بأنواع حلوى نشرها يتضوعُ
حكمتها شفاهُ الغانياتِ حلاوةً	ألم ترني من طعمها لستُ أشبعُ
فلا عيب فيها غير أن محبها	يبددُ فيها ماله ويضيعُ
فكم (ست حسن) مع (أصابع زينب)	بها كلُّ ماتهوى النفوسُ مضيعُ
وكم كعكة تحكى أساور فضة	وكم عقد حلت بها البسطُ أجمعُ
وكم قد حلا في مصر من (قاهرة)	كذلك [المشبك] وصله ليس يقطعُ
و، ثوبه المنقوش جاء برونق	فياحبذا أنواره حين تسطعُ
وقد صيرت في وصف (القطائف) هائماً	تراني لأبواب (الكنافة) أقرعُ
فيا قاضياً مُحسباً عسى	ترخص لنا الحلوى نطيبُ ونرتعُ

ومن طريف ما يروى عن حلوى (الفالودج) : أن أعرابياً جلس على مائدة سليمان بن عبد الملك في شهر رمضان ، فقدموا إليه الفالودج فالتهمه بنهم شديد . فقال سليمان : أتدرى ماذا تأكل أيها الأعرابي ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين ... أنا لا أجِد إلا ريقاً هيناً ، ومزدرداً ليناً ، وأظنه الصراط المستقيم الذي ذكره الله في كتابه العزيز . فضحك سليمان وقال : هل أزيدك يا أعرابي فقد قالوا : إنه يزيد في الدماغ . قال الأعرابي : لا تصدق يا أمير المؤمنين . فلو كان الأمر كما قلت لكان رأسك مثل رأس البغل .

وأشهر أنواع الحلوى عند العرب التمر فهم يعدونه طعاماً كاملاً .

قيل : إن قيصر كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه قال :
 إن رسلى أخبرونى أن بأرضك شجرة كالرجل القائم ، تفلق عن مثل آذان
 الحمر ، ثم يصير مثل اللؤلؤ ، ثم يعود كالزمرد الأخضر . ثم يصير كالياقوت
 الأحمر والأصفر ، ثم يرطب فيكون كأطيب فالوذ اتخذ ، ثم يجف فيكون عصمة
 للمقيم وزاداً للمسافر ، فإن كان رسلى صدقونى ، فهى الشجرة التى ننت على مريم
 بنت عمران .

فكتب إليه عمر :

إن رسلك صدقوك ، وهى شجرة مريم^(١) فاتق الله ، ولا تتخذ عيسى إلها من
 دون الله قال الشاعر فى البلح :

كأنه	فى	باطن	الأفنان	زمرّد	لاح	على	التيجان
حتى	إذا	تمّ	له	شهران	وانسدلت	عناكل	القنوان
كأنها	قضب	من	العقيان	فصلن	بالياقوت	والمرجان	
من	قاني	أحمر	أرجوان	وفاقع	أصفر	كالنيران	

مثل الأكاليل على الغواني

وكثيراً ما كانت الحلوى مادة للشعر الفكاهى . ومن أشهر الشعراء الذين كتبوا
 فى هذا اللون الشاعر حسين شفيق المصرى ، وقد أطلق على ما قاله من الشعر فى

(١) قال تعالى : (فتأداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سرياً ، وهزى إليك
 بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ، فكلى واشربى قرى عنا .) .

هذا اللون بالشعر الحلمتيشى ، وكان الشاعر مولعاً بقلب القصائد الجدية إلى هزلية
في أسلوب بين الفصحى والعامية .

وقد عارض المعلقة الماثورة بقصائد أسماها « المشعلقات » . وعارض بعض
القصائد القديمة والحديثة وأسماءها المشهورات .
ومن هذه القصائد قصيدة أبي العتاهية :

أَلَا مَالِ سَيْدَتِي مَالَهَا أَدْلًا فَأَحْمِلُ إِذْ لَالَهَا

وقد عارضها بأسلوبه الفكاهة في مطالب رمضان قال :

أظن الولية زعانة وما كنت أقصد إزعائها
أتى رمضان فقالت هاتولى زكية نقل فجبنا لها
ومن قمر الدين جبت ثلاث لفائف تتعب شياها

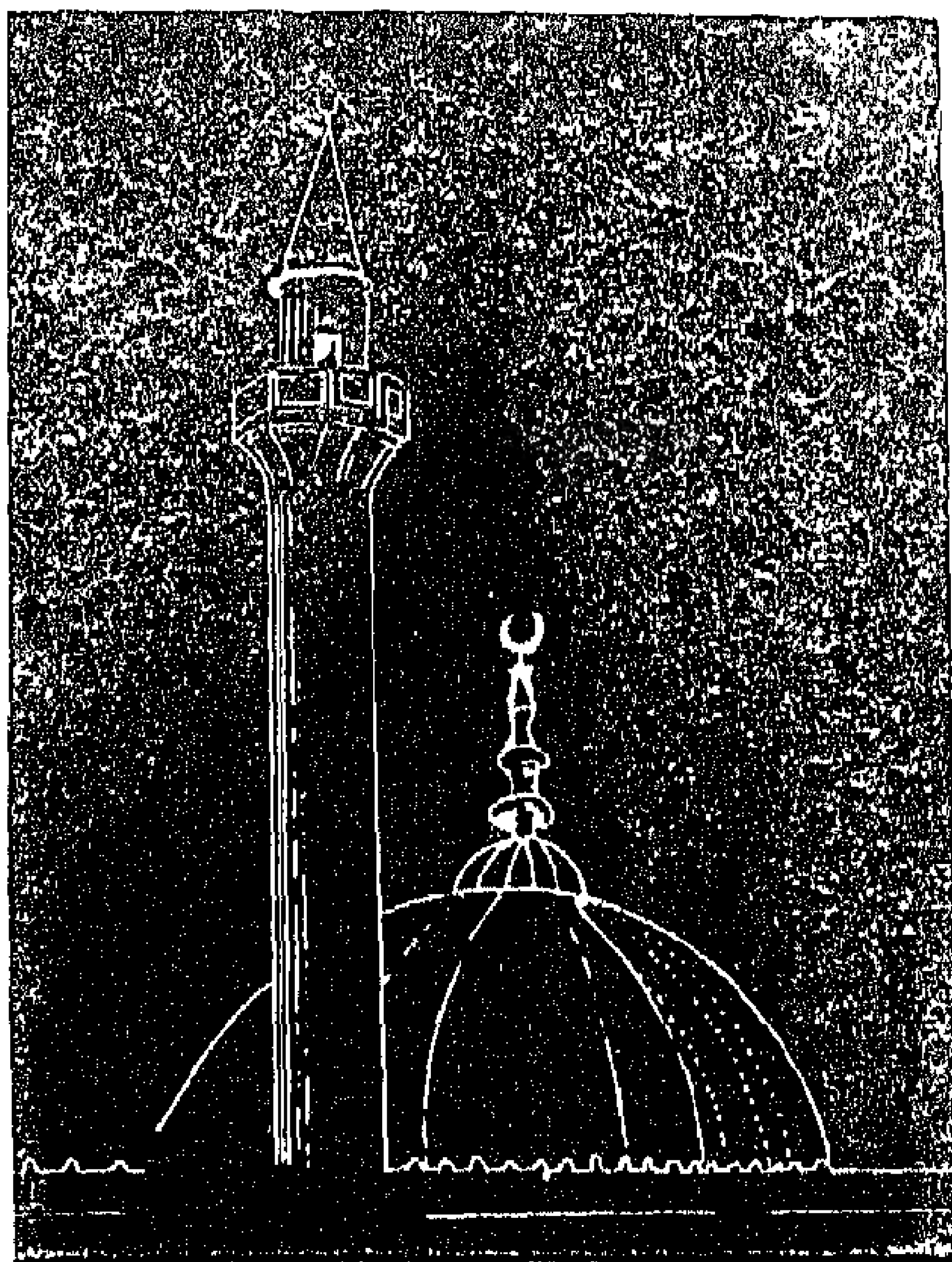
وعارض حسين شفيق قصيدة أبي العلاء المعرى ومطلعها :

عللاني فإن بيض الأمانى فنت والظلام ليس بفان
قال مندداً بهؤلاء الذين ينتهزون شهر رمضان ليكثروا من الأكل حتى يصابوا
بالتخمة :

نصف شعبان قد مضى ووراء النصـف باقى الأيام من شعبان
فترى كل من تحب وتهوى من شهى الطعام فى رمضان
من كباب وكفتة وفطير وكنافا متقونة فى الصوانى

وفراخ محمرات بسمن
واذكر المشمش البديع خشافاً
وإذا ما شربت من قمر الدين
وابداً الأكل حينما يضرب المد
غير أنى أخاف أن يتخم الأبعد
ليس معنى الصيام لو كنت تدرى
بل يصومون حمية للتداوى

خير ما يشتري من الفخراي
بزيب له أعض لسانى
فخذه فى صفرة الكهرمان
فع والهط واشفط وقربع كمان
د أو أن يصاب بالزوران
جرعة ثم أكلة عميانى
إن فى الجوع صحة الأبدان



من طرائف رمضان أعرابي وناقته

دخل أعرابي من باب مسجد رسول الله ﷺ ليصلي وترك ناقته بباب المسجد حتى يتم صلاته ، فلما أتمها وخرج لم يجدها ، فسأل عنها فعابثه بعض شباب من الأوس وقالوا له « سرقها من فرض عليك الصلاة والصيام » .

فصدق الأعرابي ... ورفع رأسه إلى السماء وقال :

أُتسرق	ناقتي	وتريد	مني	صلاة	عند	بابك	أو	صياما
فأقسم	لا أصلي	بعد	يومي	ولا	ألقى	طواعية	إماما	
ولست	بصائم	رمضان	عمري	ولا	مُلتي	للعوته	الزماما	
وإن	نادى	المؤذن	فجر	يوم	فلن	أدع	الشراب	ولا الطعاما
وإن	قالوا	الحلال	خففت	صوتي	وأرفعه	إذا	قالوا	الحراما
ثم مال إلى إناء فيه ماء فشرب منه وقال :								

لا صوم حتى تعود راحلتي ويستجد الإله مرضاتي

ولا يطيل الملام مرتحل إن يلقي راجلا بمومة
وهل يطيب المقام في بلد أميد جردانه بحياتي

الحجاج والأعرابي

خرج الحجاج ذات يوم قائظ فأحضر له الغذاء فقال :
اطلبوا من يتخذي معنا ، فطلبوا فلم يجدوا إلا أعرابياً ، فأتوا به فدار بين
الحجاج والأعرابي هذا الحوار .

- الحجاج : هلم أيها الأعرابي لتناول طعام الغداء .
الأعرابي : قد دعاني من هو أكرم منك فأجبتة .
الحجاج : من هو؟ .
الأعرابي : الله تبارك وتعالى دعاني إلى الصيام فأنا صائم .
الحجاج : أصوم في مثل هذا اليوم على حره .
الأعرابي : صمت ليوم أشد منه حرًا .
الحجاج : أفطر اليوم وصم غدًا .
الأعرابي : أو يضمن الأمير أن أعيش إلى الغد .
الحجاج : ليس ذلك إلى فعمل ذلك عند الله .
الأعرابي : فكيف تسألني عاجلاً بآجل ليس إليه من سبيل .
الحجاج : إنه طعام طيب .
الأعرابي : والله ما طيبه خبازك ولا طباخك ولكن طيبته العافية .
الحجاج : بالله مارأيت مثل هذا ، جزاك الله خيراً أيها الأعرابي .
وأمر له بجائزة .

مدعى النبوة

كان المأمون يسهر في رمضان مع بعض أخصائه ، ومعهم القاضى يحيى بن أكرم فدخل عليهم رجل يزعم أنه النبی إبراهيم الخليل .

قال له المأمون : كانت لإبراهيم معجزات هي أن النار تكون عليه بردًا وسلامًا ، وسنلقيك في النار فإن لم تمسك آمنة بك .

قال الرجل : بل أريد معجزة أخرى .

فقال المأمون : فمعجزة موسى بأن تلقى عصاك فتصير ثعبانًا ، وتضرب بها البحر فينشق ، وتضع يدك في جيبك فتخرج بيضاء من غير سوء .

قال الرجل : وهذه أثقل من الأولى أريد أخرى أخف .

فقال المأمون : فمعجزة عيسى عليه السلام وهي إحياء الموتى .

قال الرجل : مكانك إنى أقبل هذه المعجزة ، وسأضرب الآن رأس القاضى يحيى ثم أحييه لكم الساعة .

فهب القاضى يحيى قائلاً : « أنا أول من آمن بك وصدق » فضحك المأمون وأمر له بجائزة وصرفه .

خفت أن أموت عاصيًا

شاهد أعرابى يأكل فاكهة بالنهار في شهر رمضان فقبل له :
« ما هذا ؟ فقال الأعرابى : رأيت في كتاب الله (كلوا من ثمره إذا أثمر) وقد خفت أن أموت قبل وقت الإفطار فأكون عاصيًا .

لا تصم إلا ويدك مغلولة إلى عنقك

جاء رجل يوماً إلى فقيه يستفتيه ، فقال له : لقد أفطرت يوماً في رمضان بعذر . فقال اقض يوماً . قال : قضيت وأتيت أهلي وقد صنعوا (ميمونة) فامتدت إليها يدي وأكلت منها ، قال : فاقض يوماً آخر . قال : قضيت وقد أتيت أهلي وقد صنعوا (هريسة) فسبقتني يدي إليها وأكلت منها . قال : الرأي عندي أنك لا تصوم إلا ويدك مغلولة إلى عنقك .

بيت قديم

كان رجل فقير يسكن في بيت قديم ، وسقفه دائماً يقرقع لأية حركة ، فلما جاء صاحب المنزل قال له الساكن : أصلح السقف أصلح الله حالك فأجابه قائلاً : لا تخف أيها الساكن إن السقف صائم يسبح ربه ، قال الساكن أخشى أن يزيد في التسبيح ، وأن يتلو آية من آيات السجدة فيسجد سجدة لا يقوم بعدها أبداً .

عمر بن عبد العزيز والأعرابي

كان من عادة عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة أن يصلي في رمضان الصلوات الخمس كلها ، في مسجد رسول الله ﷺ . وبينما هو يصلي العصر رأى

أعرايًّا يأكل بجانب قبر الرسول ، فدنا منه فقال له : (أمرض أنت ؟) قال :
(لا) قال : (أعلى سفر ؟) قال : (لا) قال : (فما لك مفطر والناس صائمون ؟)
قال الأعرابي : (إنكم تجدون الطعام فتصومون . وأنا إن وجدته لا أدعه يفلت
مني) .

ثم أنشد :

ماذا تقول لبائس متوحد	كالوعل في شعب الجبال يقيم
يصطاد أفراخ القطا لطعامه	وبنوه أنضاء الهموم جثوم
والقوم صاموا الشهر عند حلوله	لكنه طول الحياة يصوم

لو جاءني لأعطيته

قال الطرماح وهو شاعر أموي :

على رمضان رحمة الله إنه	تولى ولم نظفر بما فيه من نقل
ولو كنت ناديت الخليفة من أجًا	وسلمى للباني ولم يطلب دخلي
لبست جديدًا من ثيابي فما له	بخيلا بأن يعطي الجديد من النعل
ولو كان أعطاني لقلت تحية	لمن داره داري ومن أهله أهلي

وحين بلغت أبياته معاوية بن أبي سفيان قال :

« لو جاءني لأعطيته ماشاء » .

الله يخفر الذنوب

دق نصيب على الأحوص بابه فأبطأ عليه ، وكان الأحوص حين سمع صوته

ينحني ما كان أمامه من طعام وشراب ، حتى لا يراه مفطرًا في رمضان .. فلما فتح قال له نصيب :

(أراك أبطأت على) .

قال الأحوص :

(كنت في بيت الخلاء) .

فقال نصيب :

(وأين عبيدك يفتحون لي ... إنما كنت تأكل وكنت تخشى أن أراك) .
فقال الأحوص :

الله ربي يغفر الذنوب
فلا تكن من دونه رقيبا
إن شئت قدمنا لك الحلبا
وإن تشا فالرطب العجيبا
من هجر جئنا به رغيبا
تغري به العيون والقلوبا

فقال نصيب وكان تقيا :

كل ما تشاء إنني لصائم
والله ربي بالقلوب عالم
والنار فيها للذنوب جاحم
وكيف ينجو في الحساب الآثم
إني على ذنبي لديه نادم
وليس لي من لوم ربي عاصم

ابن الراوندى وشهر رمضان

كان ابن الراوندى ضخماً الجثة شرهاً مبطناً ، وقد تعشق فتاة رشيقة لعوباً ،
وطلب يديها من ذويها فقالت : حتى تزول السمنة ، فتعجب الرجل متى يكون
ذاك ؟ فقالت : إذا صمت رمضان . وكان الزنديق ملحدًا لا يعترف بصيام .
ولكنه اضطر إلى الصيام وفي ذلك يقول :

وقائلة	وقد	خطرت	أمامي	سمنت	وكنت	قبل	إذن	نحيفا
وراءك	في	غد	شهر	طويل	فصمه	لكي	تكون	فتي خفيفا
لوجهك	لا	لوجه	الله	صومي	ولو	أني	لقيت	به الختوفا

أشعب في رمضان

كان أشعب أشد الناس طمعاً ، فدخل على أحد الولاة في أول يوم من رمضان
يطلب الإفطار ، وجاءت المائدة وعليها جدى ، فأمن فيه (أشعب) حتى ضاق
الوالى وأراد الانتقام من ذلك الطامع الشره فقال له :
اسمع يا أشعب إن أهل السجن سألوني أن أرسل إليهم من يصلى بهم في شهر
رمضان ، فامض إليهم وصل بهم واغنم ثوابهم .
قال أشعب وقد فطن إلى نعمة الوالى منه : أيها الأمير تعفينى من هذا نظير أن
أحلف لك بالطلاق والعتاق ، أنى لا آكل لحم الجدى ما عشت أبداً .
فضحك الوالى .. وأعفاه .

ابن ميادة وشهر رمضان

جاء ابن ميادة إلى المدينة في شهر رمضان (شهر الصوم) وكان ممن يعيشون في البادية ، ولا يفارقونها إلا قليلا ، وقد رأى مئذنة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام قد علقت عليها المصابيح ، ورأى رجلا يجلس أمام داره فسلم عليه ، فرد عليه السلام ، ودعاه للجلوس فجلس .. وقال للرجل صاحب الدار : (ما هذه المصابيح علقتموها على مسجد الرسول ؟) .

فقال صاحب الدار : « نحن في شهر الصوم .. » .
فقال ابن ميادة :

مصاييح تهدي السالكين فليتها	معلقة فوق الدرا من يللم
أهذا قصارى الدين يا قوم عندكم	وغاية ما يرجى لدى كل مسلم
سألتك بالشهر الذى أنت صائم	وبالملتقى بين الحطيم وزمزم
أحللت عند الصوم مالا يحله	وحرمت عند الصوم مالم يحرم
مناسككم كالأمس في جاهلية	وأيامكم موصولة بجهنم

فقال صاحب الدار : « ويلك يا هذا .. من تكون ؟ » .
فقال ابن ميادة :

« أنا ابن ميادة .. وما إخالك تعرفنى » .
فقال : بل أعرفك :

ألست أنت الذى قال فيه يزيد بن الطثرية :

ستعلم يامباد أنك مفرد لثيم ومحلول الأزار بطين
وأنتك إن مدوا الموائد فارس ومالك في هذا التزال قرين

قال ابن ميادة : « ويلك أتشتمنى وأنا ضيف » ؟ .
فقال صاحب الدار : أنت الذى بدأت .

شاعر أهل البيت وبنو أمية

كان السيد الحميرى شاعراً أهل البيت ، قصر شعره كله عليهم واشتهر عند ذلك
وكان يكتبه باللغة الدارجة فى أيامه ، فكان لذلك سهلاً قريب المعانى من الناس .
وقد سئل مرة عن دينه فقال :

إني أدين بما دان الوصى به وشاركت كفه كفى بصفينا

والوصى عند الشيعة هو الإمام على رضى الله عنه . وقد شهد السيد الحميرى
رجلاً من بنى أمية فى شهر الصيام صائماً ، فقال له حين أصبح منه دانياً :

دعوا الصوم للعباد لستم بأهله	ولا أنتم منه ، ولا هو منكم
وأعجب أن صلى التراويح ظالم	وما نفعت من بات للناس يظلم
يسىء لآل البيت عمداً ومادرى	بأن عمود الدين قام عليهم
إذا ذكروا فى الليل أوفلق الضحى	غدونا نصلى عندهم ونسلم

يوم الشك

تقضى الشريعة الإسلامية بأنه لا صيام لشهر رمضان حتى تثبت الرؤية ، وقد كان الصوم في يوم الشك مثار خلاف بين الفقهاء .

ومن طريف ما يروى أن (شريكاً) قاضى المسلمين على عهد (الرشيد) ، كان في مجلس الخليفة في يوم الشك والفقهاء عنده ، فلم يزالوا جلوساً إلى الظهر ينتظرون الأنباء من هنا وهناك ، فجاءت بأن الهلال لم يره أحد البارحة ، وكان بين يدي الخليفة تفاح ، فطرح إلى كل من الجالسين تفاحة ، فأكلوا إلا القاضى (شريكاً) فإنه لم يقرب تفاحته ، فأراد الفقيه الكبير (أبو يوسف) أن يوقع بين الخليفة وقاضيه فقال : انظر يا أمير المؤمنين إلى قاضيك يخالفك ، إذ أنه أبى أن يأكل ويريد أن يتم صيام اليوم ، ووجد القاضى نفسه في مأزق ، ولكن بديته أسعفته . بقوله : « لم أخالفك يا أمير المؤمنين بل هو الذى خالفك وأصحابه
إنما أنت إمام ونحن الرعية لا نفطر حتى تفطرا أنت ، وليس لنا أن نتقدمك قال الخليفة (صدقت) ثم أكل وبعده أكل شريك .

البخيل والشاعر

دخل شاعر على رجل بخيل فامتقع لون البخيل واضطربت أوصاله ، وظن أن الشاعر لا بد آكل عنده وإلا تعرض للهجاء ، ولكن الشاعر ترفق بالرجل ، ولم يكن يرضى أن يطعم من طعامه ، ووصف حال ذلك البخيل قائلاً :

تغير إذ دخلت عليه حتى فطنت فقلت في عرض المقال
على اليوم نذر من صيام فأشرق وجهه مثل الهلال

وقال أحدهم في البخل :

ركبت أطوف في الجانبين وأقطع عمر زمان الصيام
فلم ألق إلا صديقاً يجود بطيب الكلام وحسن السلام
ولو أنني كنت في بيته سقاني بكفيه كأس الحمام
فكيف أكون إذا ما قصدت لأكل الطعام وشرب المدام

وقال ابن سكرة الهاشمي يصف البخل الذي يراه من بعض من يغشى منازلهم
في الشهر الكريم ، الذي يملأ بخيراته الدنيا :

أما الصيام فشيء لست أعدهم أغشى أناساً فأغشى في منازلهم
مدي الزمان وإن بيت إبطاراً جوعاً على ولا أغشى لهم نارا
وأجمعوا في الكوى الجرذان والفاراً قد أجمعوا القمل أن ترزا دماءهمو

ويصف لنا أسامة بن منقذ أيام السلطان محمود نور الدين زنكي ، وما فيها من
شظف العيش فيبدع ويجيد :

سلطاننا زاهدٌ والناس قد زهدوا به فكل عن الخيرات منكش
أيامه مثل شهر الصوم خالية من المعاصي وفيها الجوع والعطش

ويقول ابن عبد ربه في بنجيل بالطعام :

لا يفطر الصائم من أكله لكنه صوم لمن أفطرا

فِي وَجْهِهِ مَنْ لَوَّمَهُ شَاهِدٌ يَكْفِي بِهِ الشَّاهِدُ أَنْ يُخْبَرَ
لَمْ يَعْرِفِ الْمَعْرُوفَ أَفْعَالُهُ قَطُّ كَمَا يَنْكُرُ الْمُنْكَرُ

وقال جحطة البرمكى فى بنخيل دعاه لأكل قطائف شهر رمضان :

دعانى صديق لى لأكل القطائف فأمعنت فيها آمناً غير خائف
فقال ، وقد أوجعت بالأكل قلبه رويدك مهلاً فهى إحدى المتألف
فقلت له : ما إن سمعنا بهالك ينادى عليه ياقتيل القطائف

رمضان في المحكمة

ازدحم الناس في مسجد القرية لصلاة أول جمعة من رمضان المبارك ،
ووصل الخطيب من خطبته إلى الحديث النبوي قال : قال رسول الله عليه أفضل
الصلاة والسلام :

« من صام رمضان وأتبعه بستة من شوال فكأنما صام العام كله »
فتنحج بعض المصلين إيداناً بخطأ وقع فيه الخطيب ، فراجع الخطيب نفسه
وقال :

قال رسول الله ﷺ :
« من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام العام كله » .
فتنحج المعارضون مرة أخرى ، فصاح مصلون آخرون : ما هذه المشاغبة ؟
لقد قال لكم [بستة] فلم يعجبكم ثم قال لكم [بست] فأصررت على تخطئته .

فقال حزب اليسار :

ليس الخطأ في ستة وست ، بل الخطأ في رمضان إن الصواب هو [رمضاناً]
بالتنوين .. رمضاناً أيها المغفلون ، رمضاناً أيها المغفلون ؟ إنه ممنوع من الصرف
للعلمية وزيادة الألف والنون .

واختلطت الأصوات ، وتساقطت الشتائم مدراراً ، وارتقى الشجار من شتائم
إلى تلاكم ، واشترك الخطيب في المعركة وبطلت الصلاة وسقط عشرات من
الجرحى وانتقل الجميع إلى أقسام البوليس ، وانتهى الأمر بهم إلى المحكمة .
وفي يوم الجلسة كانت قاعاتها والشوارع المحيطة بالمحكمة مزدحمة بأهل القرية
رجالاً ونساءً وأطفالاً . ولاحظ وكيل النيابة كثرة عدد المتهمين قال :

أنصار [رمضان] يقفون إلى اليمين وأنصار [رمضاناً] يقفون إلى اليسار .
وتقدم إلى القاضي رجلان كل منهما يمثل أحد الفريقين المتشاجرين قالا :
لقد جئنا بغير محامين ولن نترافع في قضية الضرب ، لأننا معترفون بالتهمة
راضون بحكم القانون فيها ، إنما الذي نريد أن تقضى فيه المحكمة ، هو : أينما على
صواب ؟ القائلون بالتنوين ؟ أم القائلون بالمنع من الصرف ؟ ..
ونظر القاضي وأمر بأن يمثل أمامه حملة شهادة العالمية من الفريقين وأن يعرض
كل حجته :

قال الذين أصروا أن تكون [رمضاناً] :
إن حجتنا أنه نكوة مقصودة ، وأن المراد بالحديث من صام أى شهر من شهور
رمضان التي تمر به في حياته .
قالت المحكمة في نهاية الحكم :

إنها تقدر الباعث العلمي الشريف الذي دعا إلى هذا الشجار ، واكتفت
بأدنى عقوبة للمتشاجرين .

أما قضية رمضان فقد قالت :

إن علم النحو يجيز الوجهتين - لكن مادام الخلاف منصّباً على قول مروي عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقد وجب الاعتماد على علم الحديث وحده ، وبما أن الرواة قد اتفقوا على المنع من الصرف فالمحكمة تحكم بالآتي !

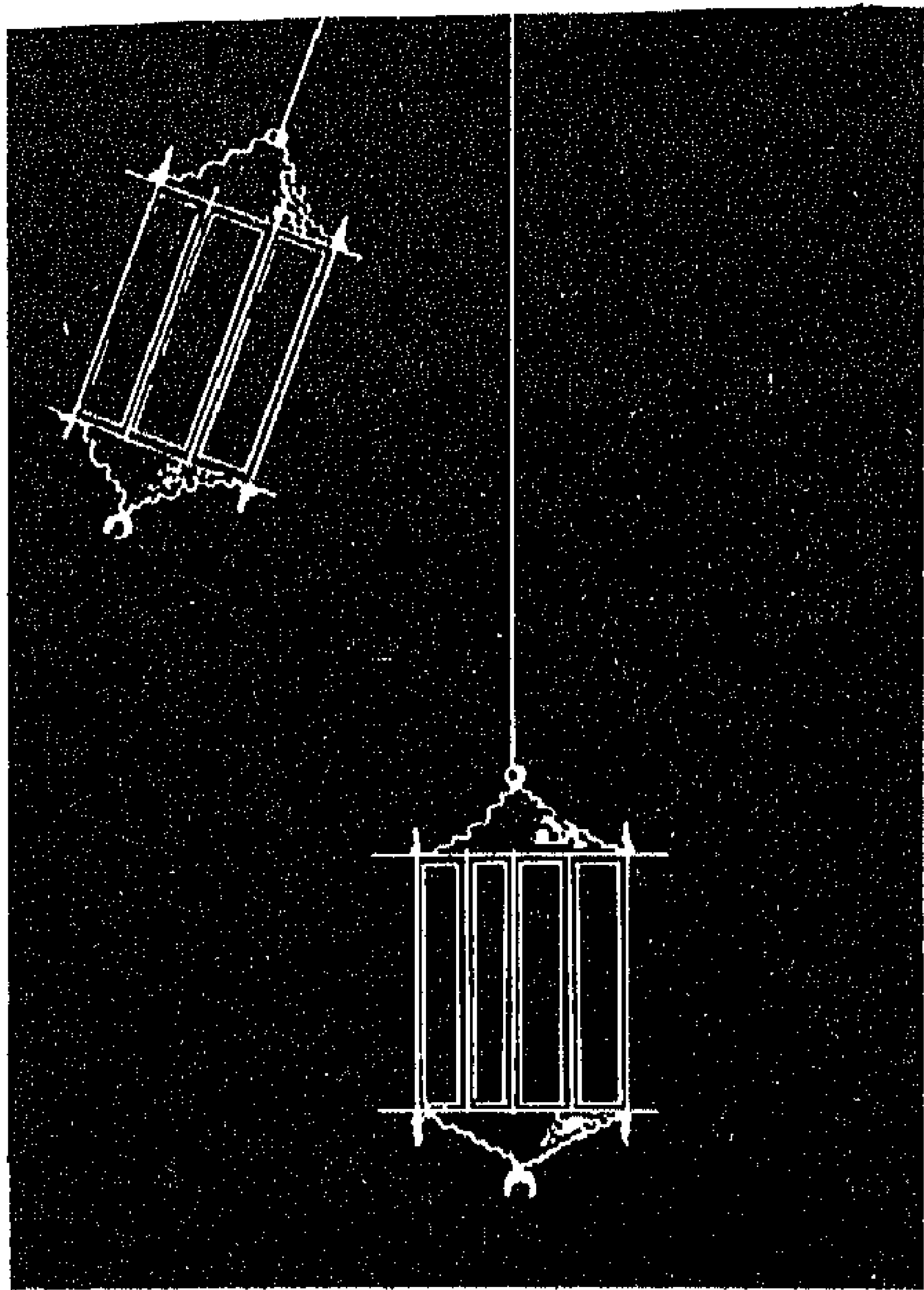
صواب القائلين : (رمضان)

وخطأ القائلين : (رمضان)

فتعالى الهتاف ودوى فى ساحة المحكمة ليحيا القضاء العادل

يحيا رمضان

يسقط رمضان



فانوس رمضان

الفانوس : جهاز يقي مصدر الضوء من الريح أو المطر . والفانوس من الفنون التشكيلية ، ويعادل عروسة المولد ...

والفانوس في القاموس : النمام ، وعن المازري أنه قال : كان فانوس الشمع منه لأن كلاهما يشترك في النيمة أى الكشف عن المستور وبيان ماخفى ..

وذكر المؤرخون : أن الفانوس كلمة إغريقية تشير إلى إحدى وسائل الإضاءة التي عرفت في قديم الزمان ، وأنها مرادفة للمشاعل ، والمسارج ، والمصابيح ، والقناديل ، والشمعدانات .. وأنه استخدم أيام الرومان ، وأن جوانبه كانت تصنع من القرون الرفيعة ، لحماية المشاعل الزيتية ، وأن هذا النوع من الفوانيس ظل يستعمل حتى العصور الوسطى .

وذكروا أن الفوانيس كانت تصنع في عصر النهضة من المعدن المثقوب ..

واستخدمت الفوانيس المصنوعة من الورق أو المنسوجات الرفيعة في الشرق . أما في الشرق الأوسط ، فقد استخدمت الفوانيس المصنوعة من النحاس المشغول . ولم يتشكل الفانوس في صورته الأخيرة التي نراها عليه اليوم ، إلا في نهاية القرن الماضي .

فانوس رمضان :

استخدم الفانوس في صدر الإسلام في الإضاءة ليلاً للذهاب إلى المساجد ، والزيارة ليلاً للأصدقاء والأقارب ، واستعمل كذلك لتنبيه الصائمين في وقت السحور ، فإن معنى إطفائه ، أن وقت منع الطعام والشراب قد حان .

أما فانوس رمضان ، فقد عرفه المصريون في الخامس من رمضان عام ٣٥٨ هجرية ، وهو اليوم الذي دخل فيه المعز لدين الله الفاطمي القاهرة . وكان قدومه إليها ليلاً فاستقبله أهلها شيباً وشباناً ، ونساءً وأطفالاً بحفاوة بالغة حاملين المشاعل ، والفوانيس مرددين هتافات الترحيب .

وبعد أن كان الفانوس يستعمل للإضاءة ، جدت له بدعة جديدة ، إذ حمله الأطفال بعد طعام الإفطار في رمضان المبارك ، وراحوا يطوفون به في الشوارع والأزقة ، يطالبون بالهدايا من أنواع الحلوى التي ابتدعها الفاطميون ، الذين جعلوا من رمضان موسماً كريماً للبذل ، والعطاء ، تمكيناً لدعوتهم الجديدة ، وتحبيراً للناس في مذهبهم الجديد .

وأخذت بعد ذلك تتأصل فيهم هذه العادة ، حتى أصبح الفانوس ملتصقاً بشهر رمضان ، وأصبحت هذه هي لعبة الأطفال ، يطوفون بها في الأحياء مهللين مكبرين منشدين :

ادونا العادة ربي يخليكم
لبده وقلادة ربي يخليكم

الفانوس طقطق
والشمعه ساحت

وبدأ الناس منذ ذلك التاريخ ، يفتنون في إخراج الفوانيس في أشكال
هندسية بديعة ، وعلى الرغم من أن هذه الصناعة - صناعة الفوانيس - أصبحت
من أقصر الصناعات عمراً ، حيث تعيش شهراً واحداً لتموت بقية العام ، فلم تعد
تستعمل كما كان من قبل في الإضاءة ليلاً ... فإن القاهرة لا تزال عامرة بالمفتنين في
هذه الصناعة ، حتى أن الفوانيس المتداولة خلال شهر رمضان تقرب من ثلاثمائة
ألف فانوس .

ولقد داعب فانوس رمضان خيال الشعراء ، ومن طريف ما يروى ، تلك
المساجلة التي تبارى فيها (أبو الحجاج يوسف بن علي) و (ابن الظافر)
و (أبو محمد القلعي) و (الرشيد عبد الله محمد) و (أبو الحسن النيه) حين
اقترحها عليهم (أبو الحجاج) في جامع عمرو بن العاص وبدأها بقوله :

وَنَجْمٌ مِّنَ الْفَانُوسِ يُشْرِقُ نُورُهُ وَلَكِنَّهُ دُونَ الْكَوَاكِبِ لَا يَسْرِي
وَلَمْ أَرْ نَجْمًا قَطَّ قَبْلَ طُلُوعِهِ إِذَا غَابَ يَنْهَى الصَّائِمِينَ عَنِ الْفِطْرِ

فلما قال له ابن الظافر : إن هناك نجوماً لا تدخل تحت الحصر ، إذا غابت تنهى
الصائمين عن الفطر وهي نجوم الصباح .

أضاف أبو الحجاج :

هَذَا لِوَاءِ سَحُورٍ يَهْتَدُونَ بِهِ وَعَسْكَرُ الشُّهْبِ فِي الظُّلَمَاءِ جَرَّارُ
وَالصَّائِمُونَ جَمِيعًا يَهْتَدُونَ بِهِ «كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ»^(١)

وقد قال الرشيد أبو عبد الله محمد حين استمع إلى تلك المساجلة :

أَحْبَبُ بِفَانُوسٍ غَدَاً صَائِعِدَاً وَضَوْوَهُ دَانَ مِنْ الْعَيْنِ
يَقْضَى بِصُومٍ وَبِفَطْرِ مَعَا فَقَدْ حَوَى وَصَفَ الْهَلَالَيْنِ

وأنشد أبو محمد القلعي :

وَكَوْكَبٍ مِنْ ضَرَامِ الزُّنْدِ مَطْلَعُهُ تَسْرَى النُّجُومُ وَلَا يَسْرِى إِذَا رَقَبَا
يُرَاقِبُ الصُّبْحَ خَوْفًا أَنْ يُفَاجِئَهُ فَإِنْ بَدَا طَالِعًا فِي أَفْقِهِ غَرَبَا
كَأَنَّهُ عَاشِقٌ وَافَى عَلَى شَرَفٍ يَرْعَى الْحَبِيبَ فَإِنْ لَاحَ الْحَبِيبُ نَجَبَا

وقال ابن الظافر :

أَلَسْتُ تَرَى شَخْصَ الْمَنَارِ وَعُودَهُ عَلَيْهِ لِفَانُوسِ السَّحُورِ لَهِيْبُ
كَحَامِلٍ مَنَظُومِ الْأَنَابِيْبِ^(٢) أَسْمَرُ عَلَيْهِ سِنَانٌ بِالدِّمَاءِ خَضِيبُ
تَرَى بَيْنَ زَهْرِ الزَّهْرِ^(٣) مِنْهُ شَقِيقَةٌ بِهِ الْعُودُ غَضٌّ وَالْمَنَارُ كَثِيبُ

(١) شطر البيت للخنساء :

وإن صخرًا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

(٢) حامل منظوم الأنابيب الرمح .

(٣) الزهر : جمع زهراء وهي النجوم ، والشقيقة واحدة الشقائق وهي زهرة شديدة

الاحمرار .

وتبدي كخد أحمر والدجى لمى^(١)
كَأَنَّ لِرَبِّجَى الدجى من لحيه
تراه يُراعى الصبح ليلاً فإن دنا
فهل كَانَ يرعاها لعشقي ففر إذ

وقال أبو الحسن بن النيه :

حبذا في الصيام مئذنة الجا
خلتها والفانوس إذ رفعت

وقال مظفر الأعمى :

أرى علما للناس في الصوم يُرفع
وما هو في الظلماء إلا كأنه
ومن عجب أن الثريا ساءوها
فطوراً تُحييه بباقة نرجس
وما الليل إلا قانص لغزاة
ولم أر صياداً على البعد قبله

ومن أقوالهم في الفانوس ما قاله ابن فوطيه :

نصبوا لواء للسحور وأوقدوا
فكانه سبابة قد قمعت

بدا فيه ثغر للنجوم شيب
ومن خفقه قلباً عراه وجيب
طلوع صباح حان منه غروب
دري أن رومي الصباح قريب

مع والليل مُسبل أذياه
صائداً واقفاً لصيد غزاة

على جامع ابن العاصر أغلاه كركب
على رُمح زنجي ستان مُذهب
مع الليل تُلهي كل من يترقب
وطوراً يُحييها بكأس تلهب
بفانوس نار نحوها يتطلب
إذا قربت منه الغزاة بهرب

في رأسه ناراً لمن يترصد
ذهبا وقامت في الدجى تشهد

(١) اللمي : سمرة محبة في الشفاء . وشنيب ذو الشنب وهو برد ، وعذوبة ولمعان في

الأسنان .

وقال شهاب الدين يعقوب :

رَأَيْتُ الْمَنَارَ وَجُنَحَ الظَّلامِ
وَحَلَّقَ فِي الْجَوِّ فَنُوسُهُ
فَقُلْتُ (الْمَحَلَّقُ) قَدْ شَبَّ فِي
وَحَلَّتِ الثَّرِيَّا يَدَا وَالنَّجُومَ
وَحَلَّتِ الْمَنَارَ وَفَنُوسَهُ

وقال أبو يحيى السولى :

وَلَيْلَةً مُلِثْتُ أَشْدَاقُهَا لَعَسًا
وَلَا حَ كَوَكَبُ فَنُوسِ السَّحُورِ عَلَى
حَتَّى كَانَ دُجَاهَا وَهُوَ مُلْتَهَبٌ

ويقول ابن الطاهر :

وَلَيْلَةً صَوِّمٌ قَدْ سَهَرْتُ بِجُنْحِهَا
حَكَى اللَّيْلُ فِيهَا سَقْفَ سَاجٍ مُسَمَّرًا
وَقَامَ الْمَنَارُ الْمَشْرِقُ اللَّونَ حَامِلًا
كَمَا قَامَ رُومِيٌّ بِكَأْسٍ مُدَامَةٍ

مِنْ الْجَوِّ - يُسْدِلُ أَسْتَارَهُ
فَذَهَبَ بِالنُّورِ أَقْطَارَهُ
ظَلَامِ الدُّجَى لِلْقَرَى نَارَهُ
وَرَقًا غَدَا الْبَدْرَ قِسْطَارَهُ
فَتَى قَامَ يَصْرِفُ دِينَارَهُ

وَاسْتَوْضَحَتْ غُرٌّ مِنْ ثَغْرِهَا شَبَابًا
إِنْسَانٍ مُقْلَتَهَا النُّجْلَاءُ وَاشْتَهَبَا
زَنْجِيَةً حَمَلَتْ فِي كَفِّهَا ذَهَبًا

عَلَى أَنَّهَا مِنْ طُولِهَا تَعْدِلُ الدَّهْرَا
مِنْ الشَّهْبِ قَدْ أَضْحَتْ مَسَامِيرَهُ تَبْرَا
لِفَنُوسِهِ وَاللَّيْلُ قَدْ أَظْهَرَ الزَّهْرَا
وَحَيَّا بِهَا زَنْجِيَةً وَشَحَتْ دُرًّا

ولشعراء الغناء فى العصر الحديث أغنيات كثيرة نخصوا بها فانوس رمضان ،
يحملها لنا الأثير كلما أقبل الشهر الفضيل .

كتب إمام الشعر العامى بيرم التونسي :

يا قمر	طالع	(أيوحا)	بفانوس	والع	(أيوحا)
أنت	حسبي	(أيوحا)	املالى	جيبى	(أيوحا)
سكر	أحمر	(أيوحا)	وزبيب	أسمر	(أيوحا)

وأنا ادعيلك في يوم عيدك امتي أجيلك

ويأأموره (أيوحا) في المقصوره (أيوحا)

زى الوردة في البندوره

احنا جينا طلى علينا

بيتك عمران ياميش رمضان إدينا حفان

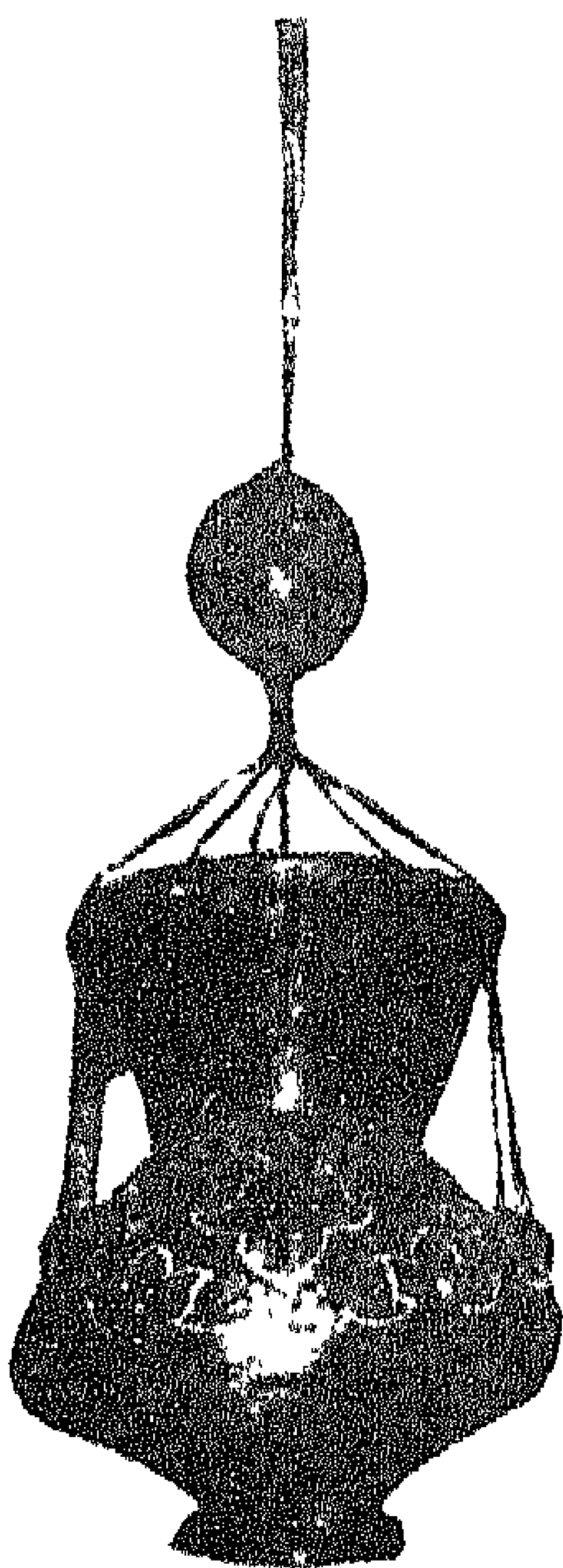
رمضان غالى (أيوحا) كله تسالى (أيوحا)

فيه الفرحة (أيوحا) شجرة طارحة (أيوحا)

طارحة بندق

طارحة فستق

في نخشاف عايم ويامكارم لك يا صايم



الأغنية الرمضانية

لرمضان في التاريخ الإسلامى منزلة استمدتها من اختصاصه بهذا النوع الروحى من العبادة ، فقد فرض فيه الصيام وسيلة لتأديب النفس ، وتهذيب الخلق ، وتحطيم الأثرة ، وتحرير الإنسان من عبودية العادات ، والتعاون على البر ، والتسابق فى الخير ، والمناصرة فى الشدة .

وقد كان الناس فى أيام الرسول الأمين عليه أفضل الصلاة والسلام ، وفى عهد الخلفاء الراشدين ، يتخذون من رمضان موسماً كريماً لعبادة الله يتسابقون فيه إلى رحمته ، ويتجهون إليه لتوثيق ما وهى بين القلب والدين بصوم الجوارح عن كل مكروه ، وتعويض ما فات بإصلاح ما فسد ، وتقويم ما اعوج من السلوك طوال العام ، ونهى النفس عن الهوى حتى تصفو بالتقرب إلى الله عز وجل .

كان المسلمون يعيشون نهار رمضان فى عبادة ، ويحيون لياليه فى المسجد الحرام

يصلون ، ويتلون القرآن الكريم ، وينشدون الابتهالات ، وكتاب الله لهم نور ،
وسنته وأحكامه لهم دستور .

ولم يكن عصر بنى أمية إلا امتداداً لعصر الخلفاء الراشدين . فقد كان موقف
الخلفاء فيه من الصوم موقف الرقيب ، لا تغفل له عين عن أخذ المفطرين
بالعقاب . وكان التشدد في أمور الدين يدخل في نطاق الأعمال التي يكلف بها
المحتسب

لقد كان المسلمون يجتمعون في المساجد ليلاً يتدارسون الفقه والحديث ، وكان
فقهاؤهم حريصين على تزويدهم بالمفاهيم الجديدة التي نزل بها القرآن الكريم .
ولقد بلغ من أمر تمسك الخلفاء بدينهم ، وتشددهم في أموره ، أن قدم
الشعراء إلى باب عمر بن عبد العزيز فقاموا به أياماً لا يؤذن لهم في الدخول ، حتى
قدم عدى بن أرطاة عليه وكان منه بمكانة ، فتعرض له جرير قائلاً :

يا أيها القارئ المرخى عمامته	هذا زمانك إني قد مضى زمني
أبلغ بفتنا إن كنت لاقية	أني لدى الباب كالمشود في قرن
لا تس حاجتنا لقيت مغفرة	قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني

قال :

نعم يا أبا عبد الله . . . فلما دخل على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال :
يا أمير المؤمنين . . الشعراء ببابك ، رأسنتهم مسمومة وسهامهم صائبة .
قال : مالي وللشعراء .

فقال : يا أمير المؤمنين إن رسول الله عليه الصلاه والسلام مدح فأعطى . وفيه أسوة لكل مسلم .

قال عمر : صدقت فمن الباب مهم ؟

قال : الأخطل التغلبي .

قال عمر : أليس هو القائل :

ولست بصائم رمضان عمري	ولست بآكل لحم الأضاحي
ولست بزاجر عيساً بكوراً	إلى أطلال مكة بالنجاح
ولست بقاءم كالعبد يدعو	قبيل الصبح حتى على الفلاح
ولكني سأشربها شمولاً	وأسجد عند منبج الصباح

أبعده . . أبعده الله عني ، فوالله لا يدخل عليّ أبداً ، ولا وطئ لي بساطاً وهو كافر . . .

ولذلك لم يكن للأغنية الرضائية مكان في شهر رمضان . وحتى في ظل دولة بني العباس ، لم نجد كذلك لها مكاناً - فرغم عناية الخلفاء بالفن ، وشغفهم به ، وحبهم للموسيقى والغناء ، لم ترد الأغنية الرضائية على ألسنة أساطين الغناء ، مثل إبراهيم الموصلي أو علية بنت المهدي أو دنانير وغيرهم ، ممن كانوا يملئون عصر بني العباس شداً وغناءً ، ذلك لمنزلة رمضان ، فللدين فيه سلطانه الذي يعلو كل سلطان ، وللخلق والفضيلة مكان أعز به من مكان .

ثار هارون الرشيد وأمر بحبس أبي نواس حين مد عينه لشهوة الحياة ، وأغوته فتنها عن سبيل الله إذ قال :

لو كان لي سكن بالراح يسعدني لما انتظرت بشهر الصوم إفتارا
الراح شيء عجيب أنت شاربه فاشرب وإن حملتك الراح أوزارا
يا من يلوم على صهباء صافية صر في الجنان ودعني أسكن النارا

وحق في عصر الفاطميين ، وعلى الرغم مما استجد فيه من البدع ، وعدم
التشدد في أمور الدين ، كما كان في عهد الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم . . .
وبالرغم من كثرة ما قيل من شعر في استقبال رمضان ، وفانوس السحور وموائد
الكنافة والقطائف ، وبالرغم من مظاهر الأبهة والجلال في أعيادهم ولياليهم: التي
كان منها عيد الفطر ، وعيد الأضحى ورأس السنة ، وأول العام ، ويوم
عاشوراء ، وليلة مولد الرسول الكريم وغيرها .

هذه الأعياد التي رثاها عمارة اليمنى بعد انقراضهم بقصيدة وصف فيها مواكبهم
وحكى عن مكارمهم ، وجلى محاسنهم قال :

[دار الضيافة] كانت أنس وافدكم
واليوم أوحش من رسم ومن طلل
و [فطرة الصوم] إذ أضحت مكارمكم
تشكو من الدهر حيفاً غير محتمل
و [كسوة الناس] في الفصلين قد درست
ورث منها جديد عندهم وبلى
وموسم كان في يوم [الخليج] لكم
يأتى تجميلكم فيه على الجمل

و[أول العام] و[العيدين] كم لكم
فيه من وبل جود ليس بالوشل
والأرض تهتز في يوم [الغدير] كما
يهتز ما بين قصر يكم من الأسل
والخيل تعرض في وشى وفى شية
مثل العرائس فى حل وفى حل

أقول رغم كل هذا ، فإن الأغنية الرمضانية لم يكن لها وجود ، إلا على السنة
المكلفين بإيقاظ الناس لطعام السحور ، وأغنية جاءت على السنة الأطفال يطوفون
وهم بفوانيسهم يرددونها .

تقول كلماتها :

أحوى	أحوى	إياها
بنت	السلطان	إياها
لابسه	قفطان	إياها
بجلابيه		إياها
ياللا	نجيب له	إياها

ومعناها أن الطفل الذى يردد هذه الأغنية ، كان يتمنى أن يحوى عنده بنت
السلطان ذات الثياب الفاخرة المحلاة بالجلال الذهبية .

وبينا يرجع بعض المؤرخين هذه الأغنية إلى عهد الفاطميين ، يرجعها الآخرون
إلى عهد قدماء المصريين ، فقد حققها الكاتب الأديب الأستاذ محمد فهمى

عبد اللطيف تحقيقاً جاء فيه :

« قد لا يعرف الكثيرون أن وحي أقدم من رمضان وعادات رمضان ، وأنها من الأغاني التي كان يرددها قدماء المصريين على ضفاف النيل ، منذ آلاف السنين فهي تحمل معنى من تاريخنا ودلالة من دلالة أساطيرنا .

فأيوحه مأخوذة من [أيوح] اسم القمر في الفرعونية وكان [الساميون] يسمون الشمس [أيوح] ومنه [يهوه] اسم الله المقدس عند اليهود . كما كانوا يسمون القمر [أجمع] ولكن المصريين نقلوا عنهم اسم القمر للشمس ، واسم الشمس للقمر فكانوا يغنون هذه الأغنية تحية للقمر إذا أهل في مطلع كل شهر » .

ولم تعرف الأغنية الرمضانية في أيام المالك والعصر التركي بمفاهيمها ، ولم نسمعها إلا على ألسنة الرواة والمداحين ، ينشدونها في سهراتهم في حي الحسين كالملاحم الشعبية وقصص البطولة والمواويل التي كان منها :

يا	إلى	عليك	الفرض	يوم	العرض	مش	سائل
بكره	عليه	تنسئل	والرب	لك	سائل		
احسب	حساب	وقفتك	وأنت	ذليل	سائل		
وخجلتك	في	القيامة	بين	أيدين	الله		
من	العرق	في	غرق	والدمع	لك	سائل	

ولم نستمع من المطربين من أمثال عبده الحمولى ، وسلامه حجازى ، وسيد درويش ، ومحمد عثمان وغيرهم ممن جاءوا في أواخر القرن الماضى ، وأوائل هذا القرن ، أغنيات عن رمضان ، اللهم إلا بعض نصوص هابطة في مبنائها ومعناها

جاءت على ألسنة صغار المطربين .

والأغنية الوحيدة التي اشتهرت عن رمضان أيام الإذاعات الأهلية . هي أغنية
(وحوى) التي كتبها حسين حلمى المانسترلى وغناها أحمد عبد القادر .
تقول كلماتها :

وحوى وحوى إياحـــــــــــــــــه
رحت ياشــــــــــــــــعبان إياحه
وحويننا الدار جيت يارمضان
وحوى

~ ~ ~

هل هلالك والبدر أهو بان
شهر مبارك وبقاله زمان
ما احلى هارك بالخير مــــــــــــــــليان

جيت بجالك سقفوا ياعياي
م احلى صيامك فيه صحة وعال
نفسدى وصالك بالروح والمال
طول م نشوفك قلبنا فرحان
فى الدار خيرك أشكال والوان
بكره فى عيدك يلبسوا فستان

* * *

هاتى فانوسك يااخى ياإحسان
آه ياننوسك فى لىالى رمضان
بابا يـبوسك وماماكى كان

وحوى

ولم يلمع النص الجيد للأغنية الرمضانية إلا مع نشأة الإذاعة المصرية عام ١٩٣٦ ، وتكليفها الشعراء ومؤلفى الغناء بوضع الأغنية الرمضانية . فمن خلال الأثير استمعنا إلى قصيدة رمضان للشاعر محمود حسن إسماعيل من لحن محمد القصبجى وغناء آمال حسين :

لىال حسان

وشهر أمان

رعى الله فيه عيون الزمان

فمافيه شكوى لقلب يتيم
ولا بائس لم يزره النعيم

سقى الله أيامه بالحنان

وأجرى بكفيه سحر الأذان

نداء رخم وصوت رحيم

وطهر ينور قلب الزمان

ليالى صفاء

ودنيا غناء

ونور يهلل بين السفضاء

وتسرتيل ربي يهز القلوب

ويمحو من الأرض خطوط الذنوب

وفوق المآذن يهفو الضياء

وفى كل قلب يرن الدعاء

دعوناك يارب رد الخطوب

وبارك خطانا بنور السماء

وهكذا تطورت كلمات الأغنية الرمضانية . . . لم تعد وحوى ولا أيوحه ، وإنما

أصبحت كما أبدعت ريشة الشاعر عبد الفتاح مصطفى :

ما بقاش وحوى ولا أيوحه

بقى مستقبل مرسوم لوحه

فى الجيه قصادنا وفى الروحه

وطريقنا طريق واضح ومضىء

من غير عصبية ولا تفريق

نعلا ونكبر

رمضان الخير لياليه بتدور
وتوحدنا وجدان وشعور
وقلوبنا تكون عقد ومبدور
يوصلها ويجمعها على نور
نور مالى الأرض مع السموات

وقلوبنا أكثر
الله أكبر

رمضان الذى حمل البر للمسكين ، وملاً القلوب بنور اليقين ، كما صورہ لنا
الشاعر محمود حسن إسماعيل فى أغنيته توبة الزمن :

سلاما ناسك الزمن

حبيب الروح والبدن

سلام	النور	والإيمان	سلام	الحب	يسارمضان
سلام	الطائر	الظمآن	لنسبع	لاح	فى البستان
سكبت	النور	للأكوان	وزاد	الروح	للإنسان
ورحت تعطر الأكوان					

وتوقظها من الوسن

حملت	البر	للمسكين	وللعاصي	مددت	يمين
وسقت	لسقلبه	البشرى	بعفو	كان	عنه ضنين

بنور هدى وصدق يقين

أضأت سريرة الزمن

أذَانك توبّة الأيَام وفجرك منبَع الإلهَام
ويومك رحمة وسلام وليك سجدة وقيام
فها ت البر والأنعام
وجدد فرحة الزمن

بجودك غنت الحسنات ورنّت حولك الصلوات
وحلت فوقك الرحات ينابيعًا من الجنات
تبيد بظلمها الشهوات
وما فيها من الفتن



التسحير

أيها النَّوَامُ قوموا للفلاح واذكروا الله الذي أجرى الرياح
إن جيش الليل قد ولى وراح اشربوا عجلى فقد لاح الصباح
تسحروا غفر الله لكم تسحروا فإن في السحور بركة ...

نداء حبيب يتردد في الهزيع الأخير في كل ليلة من ليالى شهرنا المبارك طارقاً
القلوب والأسماع داعياً النائمين إلى طعام السحور ، الذى يعين الصائمين على
الصيام .

قال الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام : (تسحروا فإن في السحور
بركة) (١) .

(١) السحور بفتح السين : اسم لما يؤكل من الطعام وقت السحر .
السُّحُور بضم السين : تناول الصائم لطعام السحور ، وسمى كذلك لاشتقاقه من السحر وهو
الوقت الذى يقع بين الفجر الصادق والكاذب .

وقال (لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطور وأخروا السحور) والتسحير هو إيقاظ
النوم في رمضان كي يأكلوا ويشربوا ، قبل أن يتبينوا الخيط الأسود من الخيط
الأبيض . .

وكان المسلمون في أول أيام الرسول يأكلون ويشربون من الغروب حتى يحى
وقت النوم ، فإذا نام أحدهم فقد بدأ صيامه ، حتى ولو استيقظ قبل الفجر
بقليل .

ولما كان الله تعالى جلّت قدرته يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر ، فقد بين
لهم مبدأ الصوم ونهايته قال :

(أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ
اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا
مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ
مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ) .

ولما كانت شعائر الصلاة تؤدي ويؤمها الرسول عليه الصلاة والسلام بغير
دعوة ، فقد اقترح أحد الصحابة أن تنصب راية للدلالة على مواقيت الصلاة ،
واقترح آخرون استعمال البوق . . ولكن لم يرض الرسول عن استعماله وذلك
لاستعمال اليهود إياه . . ثم استعمل الناقوس . . . وبينما هم كذلك إذ رأى عبد الله
ابن زيد في منامه شخصاً علمه الأذان ، فأخبر النبي بذلك فقال رسول الله :
[إنها لرؤيا حق إن شاء الله]

وأمره أن يلقيها على [بلال] ^(١) ليؤذن بها لأنه أندى صوتاً ، وقد شارك بلال

(١) بلال : رضى الله عنه عبد حبشى من أكابر الصحابة ، ومن أوائل الذين أسلموا
ولاقى في مكة تعذيباً شديداً على أيدي الكفار في بداية الدعوة ، وقد اشتراه أبو بكر من =

فى تلك الفترة ابن أم مكتوم . وقد عرف فى أيام الرسول أن جواز الأكل والشرب بأذان بلال ، وأن المنع والتحريم بأذان ابن أم مكتوم .

فى الحديث الشريف :

« إن بلالا ينادى بليل فكلوا واشربوا حتى ينادى ابن أم مكتوم » .
ومن اشتهروا بالسحير : الزمزمى فى مكة ، وأبونقطة فى بغداد .
كان الأول يتولى التسحير وهو فى صومعته بأعلى المسجد ، ومعه أخوان صغيران يحاورانه ويقاولانه .

« تسحروا غفر الله لكم »

« تسحروا فإن فى السحور بركة »

فيرد الطفلان ما قال .

وفى كل مرة ينادى بهذا النداء ، ثم يرنى طرف جبل جمعه فى يده فيتدلى منه قنديلان كبيران معلقان فى أعلى الصومعة ، فمن لم يسمع نداء التسحير يبصر بالقنديلين يهبطان ، فإذا لم يبصرهما علم أن وقت السحور قد فات .

أما [أبونقطة] فقد كان يوقظ الخليفة الناصر فى بغداد وقد عرف ما يقال فى التسحير أيامه [بالقوما^(١)] من قوله [نياما قوما قوما للسحور]
أو [قوما للتسحر قوما] .

= مالكة وأعتقه وكان مؤذن الرسول ﷺ وهو حى ، فلما انتقل إلى الرفيق الأعلى انقطع عن الأذان ، ولم يؤذن بعده إلا مرة واحدة حين حضر إلى المدينة من الشام ، وألح عليه المسلمون أن يؤذن فلما سمع أهل المدينة صوته ضجوا بالبكاء واستعادوا به أيام الرسول .

(١) القوما ضرب من المواليا ، ولا يكون إلا باللغة الدارجة ، وله عدة أوزان من =

ولما توفي [أبو نقطة] ذهب ابنه إلى بيت الخليفة في رمضان ، وكان له صوت رقيق وأنشد :

ياسيد	السادات	لك في الكرم	عادات
أنا	ابن أبي نقطة	تعيش أبويا	مات

فأعجب الخليفة بذكائه وفطنته وأحله مكان أبيه . ومن أشهر ما قيل في فن التسخير في ذلك العهد :

لا زال	عهدك	جديد	دائم	وجدك	سعيد
ولا برحت	مهنا		بكل	صوم	وعيد
في الدهر	أنت	الفريد	وفي	صفاتك	وحيد
والخلق	شعر	منقح	وأنت	بيت	القصيد
يامن	جنابه	شديد	ولطف	رأيه	سديد
ومن	يلاقي	الشدايد	بقلب	مثل	الحديد
لا زلت	في	التأييد	في	الصوم	والتعيد
ولا برحت	مهنا		بكل	عام	جديد
نحن	لذكرك	نُشيد	بقولنا	والنُشيد	
ونبعث	أوصاف	مدحك	على	خيول	البريد
ظلك	علينا	مديد	ما فوق	جودك	مزيد
وكم	غمرت	بفضلك	قريبنا	والبعيد	

= البسيط والسريع والمقتضب من بحور الشعر العربي المعروفة . ويقال إنه بدأ أول ما بدأ عند
كعبة البرامكة أيام الرشيد مثله مثل المواليا .

عمرک	طویل	وقدرک	وافر	وظلک	مدید
ولا	بـرحت	موقی	کما	یوقی	الولید
ما زال	برک	یزید	علی	أقل	العبید
وما یرج	جود	کفک	منا	کحل	الورید
ما زال	برک	یزید	دایم	وبأسک	شدید
ولا عدـمنا	نوالک	فی	یوم	فطر	وعید

وأول من صاح في مصر بالسحير هو (عنيسة بن إسحاق) والى مصر في سنة ٢٣٨ هجرية ٨٥٢ ميلادية . ويؤثر عنه أنه كان يذهب على قدميه من مدينة العسكر في الفسطاط إلى جامع عمرو بن العاص ، وكان ينادى بنفسه على الناس بالسحور .

وكان السحير بالجامع في فترات متفاوتة . وتتردد الأهازيج على أربع مرات .
ففي التذكير الأول ينشد المنشدون :

أيها	النوام	قوموا	للفلاح	واذكروا الله الذي أجرى الرياح
إن جيش الليل قد	ولى وراح	وتداني	عسكر الصبح	ولاح
اشربوا عجلي فقد جاء الصباح				
معشر	الصوام	يا بشراكم	ربكم	بالصوم قد . هناكم
وجوار البيت قد	أعطاكم	فافعلوا	أفعال	أرباب الصلاح

وفي التذكير الثاني :

تسحروا رضى الله عنكم : كلوا غفر الله لكم .
كلوا مما في الأرض حلالا طيبا . كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ، كلوا من

رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور .

التذكير الثالث :

يامدبر الليالى والأيام ، ياخالق النور والظلام ، ياملجأ الأنام ياذا الطول
والإنعام رحم الله عبداً ذكر الله ، رحم الله عبداً شكر الله ، رحم الله عبداً قال :
لا إله إلا الله محمد رسول الله .

التذكير الرابع :

اشربوا وعجلوا فقد قرب الصباح . اذكروا الله فى القعود والقيام . وارغبوا إلى
الله بالدعاء والثناء . اشربوا وعجلوا فقد قرب الصباح .

أما عن التسخير خارج الجامع ، فيذكرون أن أول من سحر على الطبله هم
أهل مصر . وكان أهل الإسكندرية وبعض البلاد العربية كاليمن والمغرب يسحرون
بدق الأبواب بالنبايت . . أما أهل الشام فكانوا يطوفون على البيوت يسحرون
بالعزف على العيدان والطناير مرددين تلك الأهزوجة :

رب قـدـرنا على الصوم
واحفظ إيماننا بين القوم
وارزقنا اللحم المفروم
عبـدك مايلـه أسنان

ومن تقاليد رمضان وعاداته فى الجيل الماضى أن يمر المسحراتى بطبله منشداً
المواعظ محيياً سكان الحى منادياً عليهم بأسمائهم .

ومن أشهر الأرجال التي قيلت عن التسحير ، زجل للشيخ محمد النجار قال :

أنا المسحر جيت أطبل لكم حافظ أساميكم صغير مع كبير
في كل ليلة لي على كل بيت الى من الذمة خرج للفقير
ولي عدية عندكم كل عيد الكعك وكفوف الشريك والفطير
أجى أصحابكم وانتم نيام وقت السحر عن كل خير غافلين

وفي الأيام الأخيرة من الشهر المبارك يردد المسحر في صوت ملؤه الأسى والحزن

عبارات التوحيش :

لا أوحش الله منك يا شهر الصيام
لا أوحش الله منك يا شهر القيام
لا أوحش الله منك يا شهر الولايم
لا أوحش الله منك يا شهر الغرائم
لا أوحش الله منك يا شهر الكرم والجود

وكانوا يرددون :

يا صائمي رمضان فوزوا بالمنى وتحققوا نيل السعادة والغنى
وثقوا بوعد الله إذ فيه الهنا أو ليس هذا القول قول إلهنا
- الصوم لي وأنا الذى أجزى به

* * *

من صام نال الفوز من رب العلا وبوجهه أضحى عليه مقبلا
يا من يروم توسلا وتوصلا صم رغبة في قول رب قد علا
الصوم لي وأنا الذى أجزى به

وقد أنكر بعض العلماء التوحيش ، وبعض البدع والعادات في السحور . . .
وقالوا يجب أن تستبدل هذه الكلمات بالمواعظ التي تهدي الإنسان إلى طريق الخير
والرشاد .

ومن أشهر من كتبوا في التسخير في العصر الحديث ، إمام فن الزجل محمود بريم
التونسي .

قال :

أنا امدح المولى الغفور الودود
اللى تجلت رحمته فى الوجود
الأرض والسماوات على شهود
أشهد له سبحانه بعز سلطانه
ومن صميم قلبي أشكر له إحسانه
يا مؤمنين وحدوا الله
لا إله إلا الله

سبح إله العرش واخضع إليه
هو الوحيد اللى انت رزقك عليه
الملك والملوك عطية إيديه
لو مرة ينظر لك لابد يغفر لك
ويدخلك جنة فيها ماتت منى
يا مؤمنين

يا مؤمنين

يارب تلتطف بالعباد فى قضائك

انت اللى مالك من شريك فى علاك
تبلغ الصائم نهاية رحمتك ورضاك
وتحفظ الإسلام على مدى الأيام
واللى اعتماده عليك يسارب لا ينضام

سبحانه من خلق الأهلّة تدور
والشهر بالخيرات علينا يدور
يا صائمين لا حت نجوم السحور
على السحور ياللا قبل الأوان ياللا
صوموا بأمر الله والأجر عند الله

وكتب الشاعر أحمد مخيمر ، وهو نادراً ما يكتب العامية هذا الزجل الذى يعتبر
من أروع ما كتب فى المسحراتى :

ياروح من فوق نازل هائم
يسقول للصاحى والنائم
مفشيّش دايم غير الدائم

روايح هبـ م الجنة يساعز اللى ح يتى
وأنا يارب باتمنى
أشوف نورها وأطول خيرها وأطوف فى الضل مع طيرها
ومين ح يفوز غير الصائم ؟

يا مدبولي يا عبد الله يا بخته من بني وعلا
 وشاف نوره بيتجلى
 ونام ساعة وقام ساعة وقال دى الدنيا خداعة
 م فيش دايم غير الدايم
 يا عم أمين يا عم حسين صلاة الزين صلاة الزين
 دموع العين على الخدين
 وأنا قلبي يصلى له وع البازة يغنى له
 « « «

يا حجه اصحى وصحبيهم دا صوم رمضان ح يهديهم
 وح يبارك لكم فيهم
 وح يورهم السكة وفين نمشى على مكة
 ومن زارها رجع غانم

ويدلنا التاريخ ، على أن النداء التقليدى فى السحور لم يكن مقصوداً على
 الرجال . فقد كان هناك بعض المسحرات الفاتنات يقمن بهذا العمل ، فتغزل فى
 إحداهن الشاعر زين الدين بن الوردى ، ووصفها بأنها شمس تطلع فى وقت
 السحور ، فكيف يأكل الناس والشمس طالعة .

قال :

عجبتُ فى رمضانٍ من مسخرة
 قالتُ ولكنها فى قولها ابتدعتُ
 تسحروا يا عبادَ الله قلتُ لها
 كيف السحورُ وهذى الشمسُ قد طلعتُ

المراجع

- الأغاني لأبي فرج الأصفهاني
- عيون الأخبار لابن قتيبة
- صبحى الأعشى للقشلقندى
- الذخيرة لابن بسام
- لسان العرب لابن منظور
- الكامل لابن المبرد
- رمضان فى الشعر العربى والفارسى والتركى
- د. حسين نجيب المصرى
- ديوان ابن الرومى
- ديوان أبو نواس
- ديوان محمود حسن إسماعيل
- يتيمة الدهر للشعالى
- مهذب رحلة ابن بطوطة
- مجموعات - دار الهلال - جمعية الشبان المسلمين - العربى بالكويت - الإذاعة المصرية - منبر الإسلام .
- زهرة الآداب لأبي إسحاق الحصرى .

فهرس

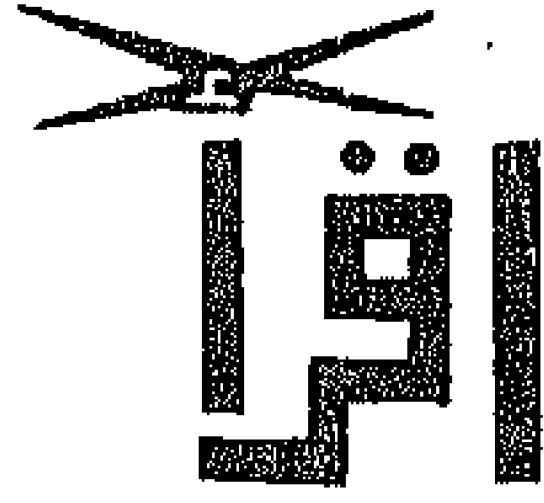
الصفحة

٧	بين يدي رمضان
١٨	الصيام
٢٤	الصوم في الإسلام
٢٩	الصيام والصحة
٣٢	الصوم في اللغة
٣٧	رمضان في الشعر العربي
٦٣	الكنافة والقطايف
٨٩	من طرائف رمضان
١٠١	رمضان في المحكمة
١٠٧	فانوس رمضان
١١٧	الأغنية الرمضانية
١٣١	التسحير

١٩٨٦ / ٣٤٠١	رقم الإيداع
ISBN ٩٧٧-٠٢-١٦٧٤-٧	الترقيم الدولي

١ / ٨٦ / ١٠٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)



بهذا الفعل الجميل (اقرأ) : تدعوك
دار المعارف إلى قراءة تراث هذه السلسلة
العريقة .. بأقلام كبار كتابنا .. لتعيش
معهم .. كما عاش الآباء والأجداد ..
وتكوّن في مكتبتك موسوعة متفرقة في فروع
المعرفة المختلفة .

وإيماناً منا بأن القراءة هي أقصر
الطرق إلى الوعي والثقافة .. فقد يسّرنا لك
ذلك في إخراج جيد .. وسعر زهيد .

٢٠/٦٧٨٥٠٣

